جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الأزهر الشريف بين الواقع والمأمول في فن المقال الصحفي عند الزيات
رؤية نقدية
مقال "الأزهر بين الماضي والحاضر" نموذجاً

إعداد

د/ محمد محمد عبد الله حسن سلام
الأستاذ المساعد ورئيس قسم الأدب والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات دمنهور

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. أكتوبر)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية - محكمة - نصف سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الأزهر الشريف بين الواقع والمأمول في فن المقال الصحفي عند الزيات رؤية نقدية مقال "الأزهر بين الماضي والحاضر" نموذجًا

محمد محمد عبد الله حسن سلام

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، دمنهور، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mohamedsallam385.el@azhar.edu.eg

الملخص:

ظفرت مصر من خلال أزهرها الشريف باعث أنوار الإسلام باحتضان حضارته التي تُعَد أبقى حضارة، حيث تَكفَّل الله جلَّ جلاله بحفظ دستوره القرآن الكريم الذي يمثل بلغته وعلومه وآدابه أساسًا لتلك الحضارة التي تُعَد كذلك هي الحضارة الأشمل والأمثل، إذ إنها لا تقتصر في العمل على تَحضُّر أهل الإسلام بكل ألوان الثقافة والمعرفة فحسب، بل هي تعمل على تَحضُّر كل بني الإنسان، ولما كان الأزهر الشريف الذي يحمل هذا الدور الجليل إلى شتى المجتمعات بما يلحق بذلك من تبعات يحتاج إلى كل الدعم كي يستمر في أداء رسالته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإنه يحتاج دومًا إلى دراسات متنوعة تتصل بسيرته ومسيرته لتَبيُّن ما يُحسَب له بحق، ويضاف إلى رصيده، وكذا لتَفحُّص الظروف وتحليل الملابسات، والإمساك بكل الأسباب لمزيد تنقيةٍ للحقيقة، وجميل تَجْليةٍ لوجه الحق، وجليل ترقيةٍ لأداء الرسالة، واستمرارٍ حميدٍ للمسيرة .. ولذا كانت هذه الدراسة عن الأزهر الشريف فن المقال الصحفي بين الواقع والمأمول من خلال مقال نشر في صحافة أربعينيات القرن العشرين للكاتب "أحمد حسن الزيات" نموذجًا، وتسهم هذه الدراسة في الكشف عن جماليات فن المقال وعطاءاته الثرية، ذلك أنه يجمع من خلال بنيته اللغوية بين جدة الموضوعات وطرافتها وأهميتها، وثراء اللغة وطواعيتها وجمالياتها من خلال هذا المقال

للأهمية البالغة لجليل موضوعه، ولما قدمه من جِدة في الطرح، وطريف المعالجة، وما اشتمل عليه من رؤى نقدية تتجاوز حدود الذاتية، وما نزع إليه من غايات سامية لا تقف عند حدود محلية، لما تتمتع الرؤى فيه بأبعاد إنسانية راقية ..

الكلمات المفتاحيَّة: الأزهر الشريف، الواقع، المأمول، فن المقال، الزيات، رؤية نقدية.

Al-Azhar Al-Sharif between Reality and Hope in the Art of the Press Article by Al-Zayat A Critical View The article “Al-Azhar between the Past and the Present” as a model

Muhammad Muhammad Abdullah Hassan Sallam
Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Damanhour, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mohamedsallam385.el@azhar.edu.eg

Abstract:

Egypt won, through its honorable flower, the source of the lights of Islam by embracing its civilization, which is the most durable civilization, where God Almighty ensured the preservation of its constitution, the Noble Qur’an, which in its language, sciences and literature represents the basis for that civilization, which is also the most comprehensive and optimal civilization, as it is not limited to work. The people of Islam are not only civilized in all colors of culture and knowledge, but it also works on the civilization of all human beings, and since Al-Azhar Al-Sharif, which carries this great role to various societies with the consequences that it entails, needs all support in order to continue carrying out its mission until God inherits the earth And whoever is on it, he always needs various studies related to his biography and his career in order to clarify what is rightfully credited to him and added to his credit, as well as to examine the circumstances and analyze the circumstances, and grasp all the reasons for further purification of the truth, a beautiful manifestation of the truth, a great promotion for the performance of the

mission, and a commendable continuation of the march.. Therefore, this study on Al-Azhar Al-Sharif, the art of the journalistic article between reality and hope, through an article published in the press of the forties of the twentieth century by the writer "Ahmed Hassan Al-Zayat" was a model, and this study contributes to revealing the aesthetics of art The article and its rich offerings, because it combines, through its linguistic structure, the novelty, novelty and importance of the topics, the richness of the language, its flexibility and its aesthetics through this article due to the great importance of its topic, the novelty it presented in the subtraction, the curiousness of the treatment, and the critical insights it included that transcend the limits of subjectivity. And the lofty goals he aspired to do not stop at local borders, because the visions in it have sublime human dimensions.

Keywords: Al-Azhar Al-Sharif, Reality, Hope, Art Of The Article, Al-Zayyat, Critical Vision.

المقـــــدمـة

عُرِفتْ مصر بأنها صاحبة أقدم حضارة، من خلال حضارتها الفرعونية التي ظلت أهرامها ومتاحفها شاهدة على معالمها التي لم يَبْقَ منها إلا بقية آثارها،

على أن مصر قد ظفرت – من خلال أزهرها الشريف باعث أنوار الإسلام وحضارته – باحتضان أبقى حضارة، إنها حضارة الإسلام، حيث تكفَّل الله جلَّ جلاله بحفظ دستوره القرآن الكريم الذي يمثل بلغته وعلومه وآدابه أساسًا لحضارة هي الأشمل والأمثل، إذ إنها لا تقتصر في العمل على تَحضُّر أهل الإسلام بكل ألوان الثقافة والمعرفة فحسب، بل هي تعمل على تَحضُّر كل بني الإنسان؛ ولذا فهي كذلك الحضارة الأشمل والأمثل والأخلد..

وإذا كان الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله لهداية الناس قد لاقوا ما لاقوا من عنت ومقاومة، بل معاداة واعتداء قد احتاجوا مع ذلك كله من الله باعثهم بالحق إلى التأييد بالمعجزات، ثم من المؤمنين بهم وبدعواتهم إلى تَحمُّل ما يلحق بذلك من تبعات، فإن الأزهر الشريف الذي يحمل هذا الدور الجليل إلى شتى المجتمعات يحتاج إلى كل الدعم كي يستمر في أداء رسالته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما يحتاج دومًا إلى دراسات متنوعة تتصل بسيرته ومسيرته، ودوره وتأثيره على مدى قرون وعصور خَلَت، وأحداث وتطورات جدَّت واستجدت لتَبيُّن ما يُحسَب له بحق، ويضاف إلى رصيده الذي لن يغيض – بفضل الله – مداده، وكذا لتَفحُّص الظروف وتحليل الملابسات، والإمساك بكل الأسباب لمزيد تنقيةٍ للحقيقة، وجميل تَجْليةٍ لوجه الحق، وجليل ترقيةٍ لأداء الرسالة، واستمرارٍ حميدٍ للمسيرة ..

وفن المقال فنٌّ أدبي راقٍ، لما يتميز به من معالجة شتى الموضوعات في أُطُر بليغة وذكية، ومثيرة وثرية، بصورة موضوعية تجمع بين جدة المضمون، وطرافة الشكل، وقوة التأثير في المتلقي، وسرعة الانتشار من خلال ما ظفر به من وسائل صحافية تعمل على سهولة نشره، وسهولة حفظه، ليظل ميراثًا خالدًا تنهل من معينه الأجيال وَتَعلُّ، لمدارسته والاستمداد من عطاءاته كل حين..

ولذا كانت هذه الدراسة عن الأزهر الشريف في فن المقال الصحفي بين الواقع والمأمول من خلال مقال نشر في صحافة أربعينيات القرن العشرين للكاتب "أحمد حسن الزيات" بعنوان: "الأزهر بين الماضي والحاضر"(١).

أهمية البحث:

تسهم هذه الدراسة في الكشف عن جماليات فن المقال وعطاءاته، ذلك أنه يجمع من خلال بنيته اللغوية بين جدة الموضوعات وطرافتها وأهميتها، وثراء اللغة وطواعيتها وجمالياتها من خلال هذا المقال للأهمية البالغة لجليل موضوعه، ولما قدمه من طرح، وطريف معالجة، وما اشتمل

---

(١) للزيات سلسلة من المقالات تتصل بالأزهر الشريف جُلُّها يتصل بهذا الموضوع، غير أن فكرتها جميعًا ورؤية الكاتب قد تبلورت في هذا المقال الثري الضخم الجامع الذي تُعَد أفكار ما تبعه من مقالات أفكارًا فرعية عن الفكرة الأساسية في المقال الأول محل هذه الدراسة التي ليس في طاقتها تناول ذلك الكم من المقالات في دراسة استقصائية، وهو ما يرجى أن يتم تناوله في بحث أكبر وأوسع مساحة..

ومن هذه المقالات:

- رسالة الأزهر – في سبيل الأزهر – هل انبعث الأزهر؟ – حل حاسم لمشكلة الأزهر
- إصلاح الأزهر – الأزهر بين دعاته وأباته – الأزهر في طوره الجديد
- الأزهر الكبير في طوره الجديد – الأزهر في مفترق الطرق

عليه من رؤى نقدية تتجاوز حدود الذاتية، وما نزع إليه من غاية سامية لا تقف عند حدود محلية، حيث تتمتع الرؤى بأبعاد إنسانية راقية..

إشكالية البحث:

تتجلى إشكالية البحث من خلال طرح عدد من التساؤلات تتجلى على النحو الآتي:

١ـ كيفية تحقيق الانسجام في العلاقات الواقعية بين الأزهر الشريف بكيانه ووجوده الروحي وحمْله رسالته السامية الشاملة، وبين غيره من الكيانات المتصلة به اتصال الروح بالجسد، دون أن يلفظ أي عضو منها غيره من الأعضاء؟

٢ـ إلى أي مدى يتمثل التواصل بين الأزهر الشريف إفي مواصلة مسيرته الدعوية والمعرفية والإنسانية، وبين منتقديه مقارنةً بمسيرته في الماضي للحفاظ على هويتنا الإسلامية والعربية؟

٣ـ في ظل تغير ظروف العصر، واتساع مساحة مسئوليات الأزهر كمًّا وكيفًا داخليًّا وخارجيًّا أمام ما يقابلها من أمور عديدة مناوئة وغير معاونة، محبطة وضاغطة ــ تبدو مسؤولية الأزهر الشريف أكثر جلالًا وأهميةً من خلال القدرة والآليات والوسائل التي يمتلكها في مواجهة ومعالجة ذلك كله، فإلى أي مدى يمكن للأزهر الشريف تحقيق المعادلة الصعبة كي يواصل نجاحه نجاحًا يمثل قوة لمصر والعروبة والإسلام...!

أهداف البحث:

تتمثل الغاية من خلال هذه الدراسة تحقيق عدة أهداف على النحو الآتي:

١ــ استجلاء القيم الموضوعية والقضايا والمضامين الفكرية التي اشتمل عليها هذا المقال.

٢ـ استجلاء المظاهر الجمالية التي تشكَّل من خلالها البناء الفني للمقال في صورة ثرية.

٣- محاولة ربط الحاضر بالماضي للاستمداد من الروافد الأصلية في الماضي المشرق، والعمل على معالجة الواقع بوعي وأمانة، والعمل على معالجة كل هناة بما يناسبها، وتدعيم كل إيجابية بما يجعلها تدعم المسيرة من خلال رؤية دقيقة متكاملة، وآلية واضحة وممكنة.

منهج البحث:

نظرًا لطبيعة هذا البحث فقد اقتضت دراسته أن أعتمد على المنهج التحليلي بصورة أساسية، دون إغفال للإفادة من أي منهج يعين على إخراج البحث في صورته المأمولة.

وإذا كان المنهج (الأكاديمي) يقتضى في مثل هذه المعالجة المقالية أن ينهض الباحث بعديد من الأمور الاستقصائية، والتحليلية، والتوصيفية بلوغًا إلى إبداء الرأي وإصدار الأحكام، فإنني لا أدعي لنفسي سوى الاجتهاد – قدر الطاقة – تقديرًا للأزهر الشريف وعلمائه وأدبائه الذين يتفانون من أجل خير المجتمع والإنسانية جمعاء..

خطة البحث:

خطة الدراسة أن يكون البحث في ثلاثة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد، ويلحقها خاتمة، ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه، ثم فهرس بمحتويات البحث، وذلك على النحو الآتي:

- **مقدمة:** عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وإشكاليته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.
- **تمهيد:** الأزهر الشريف وفن المقال الصحفي: إضاءات تاريخية، ومقاربات تعريفية.
- **الفصل الأول: مقال "الأزهر بين الماضي والحاضر للزيات" دراسة موضوعية**

ـ **المبحث الأول:** الزيات: إضاءة تعريفية

ـ **المبحث الثاني:** مقال الزيات: قضايا وموضوعات

- **الفصل الثاني: مقال "الأزهر بين الماضي والحاضر للزيات" دراسة فنية**

ـ **المبحث الأول:** البناء الفني للمقال

ـ **المبحث الثاني:** اللغة والأسلوب في المقال

ـ **المبحث الثالث:** الحقيقة والمجاز والتصوير الأدبي في المقال

ـ **المبحث الرابع:** التكوين البديعي في المقال

- **الخاتمة: وبها أهم نتائج البحث.**
- **قائمة بمصادر البحث ومراجعه**
- **الفهرس**

تمهـــــيد

الأزهر الشريف وفن المقال

إضاءات تاريخية في إطار رؤية نقدية

أولًا: الأزهر الشريف إضاءة تاريخية في إطار رؤية نقدية

١ـ الأزهر: الجغرافيا والتاريخ:

تُعَد مصر هي قلب العالم العربي والإسلامي، بل تعد قلب العالم بأسره جغرافيًّا، ذلك أنها تقع في ملتقى ثلاث قارات: أفريقيا وآسيا وأوربا، بين البحرين الأبيض والأحمر اللذين يربطانها بالمحيطين الهندي والأطلنطي اللذين يربطانها كذلك بباقي القارات: أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وأستراليا.

وفي قلب مصر القاهرة يستقر الجامع الأزهر الشريف الذي شُرع في إنشائه على يد "جوهر الصقلي" قائد "المعز لدين الله الفاطمي" عام ٣٥٩هـ ـ ٩٧٠م، وتم البناء في ٧ رمضان ٣٦١هـ ـ ٢٢يونيو ٩٧٢م[١].

٢– إنشاء الأزهر في عهد الدولة الفاطمية:

أنشأ الفاطميون الأزهر ليكون منبرًا للدعوة من خلال مذهبهم الشيعي، ورمزًا روحيًّا لقيادتهم وسيادتهم للعالم الإسلامي، وهكذا كانت التسمية الخالدة "الأزهر" نسبة إلى الزهراء "فاطمة" رضي الله عنها، أو تيمُّنًا أن يكون أعظم المساجد ضياءً ونورًا، فضلًا عن بنائه الذي يبدو أكثر الجوامع فخامةً ورواء[٢].

---

(١) الأزهر في ألف عام: د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث، ط٣، ج١، ص ٢٩.

(٢) السابق نفسه: ص ٢٩.

ولم تمض سوى أربع سنوات على إنشاء الأزهر حتى تفتحت أبوابه لحلقات العالم، وذاع صيته، فغدا قبلةً لطلاب االعلم على أيدي أكابر العلماء في علوم التفسير والحديث والفقه والعقيدة واللغة والفلسفة والتوحيد على مذهب الشيعة.

ورغم السعي الحثيث للفاطميين لنشر مذهبهم الشيعي بمضامين الفلسفة لدى فرقه المختلفة إلا أن تأثيرهم آل إلى الانحسار، لما يحيط بمذهبهم من غموض وجمود واستبداد..

وأيًّا ما كان الأمر، فإن المعوَّل عليه تاريخيًّا هو أن دروس العلم وحلقاته شرعت تتسع في رحاب الأزهر بعناية واهتمام رسمي جعله يضحى معهدًا علميًّا منظمًا، بل جامعةً علميةً ذات حركة تعليميةٍ ثريةٍ وقويةٍ، تدرَّسُ فيها فضلًا عما سبق ذكره من فروع الأدب والمنطق، والطبيعيات والرياضيات والحساب[1].

٣- الأزهر في عهد الدولة الأيوبية:

لمَّا آل الأمر إلى الأيوبيين، وهم من أهل السنة عملوا على إزالة كل الآثار السلبية التي خلفتها السياسيات الشيعية، كما عملوا على مزيد انتشار لمذهبهم السني.

وصحيح أن الأزهر لم يلقَ في عهدهم من العناية ما كان له في عهده السابق، إلا أن ذلك لم يكن مقصودًا به تعطيل مسيرة الأزهر مسجدًا للعبادة، ومعهدًا وجامعةً للعلم والمعرفة، إذ هم يؤمنون (أن المساجد لله)، ولذا فإن حكمهم الذي حُبِّب إلى الناس مع نشرهم العدل والعلم وحمايتهم الإسلامَ وأهله من حملات الصليبيين، لم يجعلهم ذلك يعملون على إعاقة

(١) الأزهر في ألف عام: مرجع سابق ص ٣٦.

مسيرة الأزهر الجامعية، فقد لبث محتفظًا بصفته معهدًا للدراسة والقراءة .... ومحتفظًا بكثير من هيبته العلمية القديمة[١].

٤- الأزهر في عهد الدولة المملوكية:

أَولى المماليكُ عناية ورعايةً كبيرةً للأزهر، فأعادوا بناءه وعمارته، وألحقوا به ثلاث مدارس، كما عملوا على ازدهار رسالته العلمية، ومنحوا علماءه مزايا جليلة ورفيعة، حيث كانوا يشغلون وظائف القضاء العليا، ويستأثرون بمراكز التوجيه والإرشاد، وكان نفوذهم يصل أحيانا إلى التأثير في سياسة الدولة العليا[٢].

٥- الأزهر في عهد الدولة العثمانية:

نظرًا لما ألمَّ بحكم العثمانيين من إخفاقات ثقافية واجتماعية وسياسية خطيرة، على نحو ما تمثل في محاولتهم (تتريك) لغة الخلافة الإسلامية التي أنزل الله دستورها القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وكذا تمثلت إخفاقاتهم في تفريغ المجتمعات التابعة لخلافتها من كل مظاهر التميز البشري من جانب، والعمل على عزلتهم عن المجتمعات الإنسانية من جانب آخر، كما تمثلت إخفاقاتهم في ضعف قيادتهم السياسية للولايات التابعة لحكمهم..

والأزهر الشريف على ما ناله في خلافة العثمانيين من عدم اعتناء إلا أنه نهض بأدوارٍ جليلة، على نحو ما تمثل في محافظته على لغة القرآن الكريم، وما كان من رفضه فُرِض من "رسوم على الزواج"[٣]، وما كان له

---

(١) الأزهر في ألف عام: مرجع سابق ص ٨٣.

(٢) الأزهر في ألف عام: مرجع سابق: ص ٨٧.

(٣) عبد الكريم رافق: معارضة علماء الأزهر للقوانين العثمانية وأهميتها في تاريخ مصر إبان العصر العثماني، ترجمة: أحمد محمود إبراهيم، ١٦ فبراير ٢٠١٧م، موقع نماء

https://nama-center.com/Articles/Details/40772

من أدوار جليلة في مواجهة الحملات الاستعمارية، مثل الحملة الفرنسية، ثم حملة فريزر، حيث قام بقيادة الشعب في المقاومة والمواجهة التي عملت على إخراج الأولى في غضون ثلاث سنوات، وصد الثانية دون تَمكُّنها من دخول البلاد. وقد نال علماءه ما نالهم ي سبيل ذلك من تنكيل، وسجْنٍ، وقتْلٍ واستشهاد، على نحو ما كان من أدوار جليلة لعلمائه وشيوخه مثل الشيخ السادات، والشيخ الشرقاوي، والشيخ محمد كريِّم، والشيخ عمر مكرم، وغيرهم...[١]

• الأزهر وبناء الدولة المصرية الحديثة:

كان للأزهر دوره التاريخي الجليل في بناء نهضة مصر الحديثة منذ تنصيب "محمد علي" واليًا، حيث كان معظم المبعوثين إلى أوربا من طلاب الأزهر ورجاله الذين أزكوا حركتها دراسةً وترجمةً، وتأليفًا وتدريسًا في الأزهر ومعاهده وجامعته، وغيره من المدارس والجامعات.

وفي سبيل الحفاظ على سلامة البلاد وهويتها في مواجهة الأطماع الأجنبية والغزو الفكري التغريبي كان للأزهر أثره الفعَّال في تكوين وتغذية العديد من الشخصيات ذات التأثير القيادي اجتماعيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا أمثال: الشيخ جمال الدين الأفغاني، ورفاعة الطهطاوي، ومحمد عبده، وأحمد عرابي، والنديم، والبارودي، وغيرهم كثير..

وقد قام الأزهر الشريف بدور حكيم متوازن في أحداث العقد الثاني من القرن الحالي في ٢٥ يناير ٢٠١١م، و٣٠ يونيو ٢٠١٣م، وقد تمثل ذلك جليًّا في "وثيقة الأزهر بشأن مستقبل مصر التي" تتضمن أحد عشر بندًا تؤكد أن تأسيس الدولة الوطنية الدستورية الديمقراطية الحديثة يكون بالانتخاب الحر المباشر، والالتزام بالحريات الأساسية، واحترام حقوق

(١) الأزهر في ألف عام، مرجع سابق: ص ١٤٧.

الإنسان والمرأة، وتأييد استقلال الأزهر. ولذا جاء دستور مصر الحالي ٢٠١٤م ينهض على أن "الأزهر الشريف هيئة إسلامية علمية مستقلة، يختص دون غيره بالقيام بكل شئونه، وهو المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشئون الإسلامية، ويتولى مسئولية الدعوة ونشر علوم الدين واللغة العربية في مصر والعالم"(١).

إن الدور الجليل الذي يؤديه الأزهر على مر التاريخ من خلال رسالته الدعوية الحضارية الجليلة التي يحملها إلى بلدان الإسلام والعالم يمتد إلى مجالات عديدة في عصرنا الحالي مثل: الحوار بين أهل الأديان، ورأيه في حق المرأة المسلمة في فرنسا في الحجاب، وحوار شيخ الأزهر مع أعضاء البرلمان الألماني في مارس ٢٠١٦م، وتوجيهه رسالة للمجتمع الدولي يطالبه بوقف المجازر التي يتعرض لها مسلمو "الروهينجا" في بورما ـ ميانمار(٢).

ـ أكثر من ألف عام والأزهر شامخ في مواجهة الأحداث:

مرت قرون وعصور على إنشاء الأزهر، قامت فيها دول وحكومات، ودالت دول وخلافات، وبقى الأزهر الشريف مبقيًا على هوية الإسلام الوسطية، محافظًا على لغته العربية الخالدة، باعثًا العلوم والمعارف، مدافعًا عن الحق، ومواجهًا الظلم، داعيًا إلى النهوض من أجل حضارة الإنسان،

(١) د. أحمد عبد الظاهر: دور الأزهر في مصر والعالم ١٦سبتمبر ٢٠٧١م، البوابة نيوز.
https://www.albawabhnews.com/2714520

(٢) د. محمد صلاح البدري: أزمة بورما والأزهر الذي نعرفه!، صحيفة الوطن، عدد ١٣ سبتمبر ٢٠١٧م.

وتلك هي خلاصة رسالة الإسلام التي شرع الأزهر يفتأ يحملها بوسطية لا شرقية إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ سورة الطلاق، آية ٣.

ـ تاريخ الأزهر تاريخ للثقافة والمعرفة والوسطية:

الحديث عن الأزهر الشريف بكونه مركزًا للإشعاع العلمي والمعرفي والحضاري إلى شتى أنحاء العالم إرسالًا واستقبالًا، من خلال طلاب العلم والمعرفة الذين يفتح لهم أبوابه وأروقته الرحيبة، وعلمائه الذين يحملون العلم والفقه والهداية والرخاء والمحبة والإسلام إلى كل مكان ليس بالحديث المرجَّم أو الحديث المرسل الذي يُرسَل إرسالًا على عواهنه، وإنما هو حديث التاريخ والعلم والواقع والحق ..

_ ومن ذلك ما سجله التاريخ على نحو ما جاء في دائرة المعارف كوليرز "colliers"[1]:

"... ويفد إلى الأزهر الألوف من دول العالم الإسلامي، ويعتبر أقدم جامعة في العالم تدرس علوم القرآن والشريعة مع العلوم التطبيقية والأكاديمية".

_ ومما سجله التاريخ بالحق من شهادات الأجانب ما قاله الدكتور "بيبر دوج p.dodge"

في كتابه عن الأزهر: "إن الأزهر ظاهرة ظهرت مع الزمن شيئًا فشيئًا، عشرة قرون قام فيها حارسًا أمينًا على الدين الإسلامي، وعلى اللغة العربية".

(١) الأزهر في ألف عام، مرجع سابق: ص ١٠.

وهكذا ظل الأزهر الشريف، وسيظل – بأمر الله – مع حاضنته (مصر) قلب الأمة والعالم خيرَ رباطٍ يربط أنحاء الأمة الإسلامية والعربية بوسطية نهجه الإسلامي القيم القويم، كما سيظل لذلك أوثقَ رباط بحمايته اللغة العربية التي حَمَى فصاحتها وبلاغتها وآدابها، كما سيظل أسمى رباط للإنسانية برسالته المعرفية الشاملة، ورحابة آفاقه في تبادل الحوار واحترام الجوار..

ولذا سيظل الأزهر الشريف على كل حال أحد أهم عناصر القوة الداعمة للدولة المصرية على مستوى الصعيد العربي والإسلامي والعالمي.

وما أجمل ما يدعو إليه الدكتور أحمد ذكي، إذ يقول(١): "إنني أدعو كل مفكر أن يفكر في الأزهر، وكل كاتب أن يكتب في الأزهر، مدرسة الإسلام الكبرى، ليتحقق للأزهر ما يبتغيه، وما ينبغي له على ضوء من الفكر هادٍ إن شاء الله".

ثانيًا: فن المقال: إضاءة تاريخية في إطار رؤية نقدية:

فن المقال فن أدبي أصيل وجليل يضرب بجذوره في أدبنا العربي القديم، وقد تطور تطورًا كبيرًا، وازدهر ازدهارًا عظيمًا بعد اكتشاف الطباعة، وانتشار الصحافة، لكن ليس معنى ذلك أن فن المقال لم يكن موجودًا بصور مناسبة لكل عصر في أدبنا قبل الطباعة والصحافة "فقبل أن تُعرف الصحف، وقبل أن يُختَرع فن الطباعة الآلية بقرون طويلة عُرِف فن المقال"(٢).

على أن الصحافة كان لها دور كبير في تطور فن المقال وارتقاؤه، وبلوغه درجات عالية في جدة موضوعاته، وجودة بنائه الفني، وطواعية لغته

(١) الأزهر في ألف عام: مرجع سابق، ص١٠.

(٢) د. محمد مندور الأدب وفنون، دار نهضة مصر ٢٠٠٦م، ص١٩٣.

وحسن تنوعه دينياً، واجتماعيًا، وثقافيًا، وأدبيًا، وسياسياً بصورة يسيرة على القراء الذين طفقوا يتلقون شتى المقالات التي حملتها إليهم أنواع من الصحف والمجلات التي غدت تنتشر بصورة دورية شهرية، أو نصف شهرية، أو أسبوعية أو يومية صباحية، أو مسائية.

وصحيح أن فن المقال لم يحقق الارتقاء الفني طفرة واحدة منذ بداية اكتشاف الطباعة، وظهور الصحافة، غير أنه حين طفقت النهضة تؤتي ثمارها "ظفرنا بطائفة من الكتاب جعلوا يحررون كتاباتهم من قيود الصنعة متخذين من الصحافة ـ تلك الوسيلة الجديدة ـ أداة لتوصيل آرائهم وأفكارهم إلى مواطنيهم"(١).

لقد أفسحت الصحافة للأدباء والكتاب أن يعبروا على صفحاتها عن رؤاهم وأفكارهم التي تعالج قضايا المجتمع في شتى مناحي الحياة في كل أحواله غوصًا وبحثًا، وتدبرًا وتحليلًا، وتعليلًا وتفضيلًا، واستنتاجًا كثيرًا ما أدى إلى درجات من النهوض والارتقاء الثقافي والعلمي والأدبي والاجتماعي والسياسي.

أثر فن المقال عن طريق الصحافة في لغتنا العربية:

تجلت آثار الصحافة في لغة فن المقال وكُتَّابه جلية بهية من خلال ما تألَّف من أسفار مقالية جليلة وأثيرة، حيث حرص كثير من الكتاب على جمع ما أنتجوه من مقالات في كتب كان لها دور جليل في النهوض بلغتنا العربية وفنونها الأدبية، على نحو ما يتمثل في كتب: النظرات والعبرات للمنفلوطي، ووحي القلم، وتحت راية القرآن للرافعي، وحديث الأربعاء، وعلى هامش السيرة للدكتور طه حسين، والفصول، وساعات بين الكتب للعقاد،

(١) د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية في مصر ج١، ص١٧٢.

ومن وحي الرسالة لأحمد حسن الزيات، وصندوق الدنيا للمازني، وفي المرآة للشيخ عبد العزيز البشري، وفيض الخاطر لأحمد أمين، ونماذج بشرية للدكتور محمد مندور..

على أن فن المقال – مع تطوره ونضجه – لم يكن ليأتي على درجة واحدة، أو على طريقة واحدة شكلًا ومضمونًا، حيث تعددت، وتباينت اتجاهات كُتَّابه، وطُرق كتاباتهم، ما بين طُرق واتجاهات تؤْثِر الأصالة وتولي وجهتها شطر التراث والمحافظة على تقاليده، وطُرُق واتجاهات تولي وجهتها شطر الغرب وتؤمن بأنه لا سبيل إلى التحضر إلا بالسير في ركاب أصحاب الحضارة الحديثة المتفوقة في كل شيء، وطرق واتجاهات تحاول أن تتوسط بين هذا وذاك.(١)

وعلى كل حال فقد بلغ فن المقال أوج تطوره ونضجه من خلال ما ظفر به من كتاب أفذاذ أمثال: المنفلوطي، وطه حسين، والعقاد، والرافعي، والمازني، والزيات، وغيرهم كثير..

ومهما يكن من أمر فإن للصحافة آثارًا جليلة في لغتنا العربية يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ـ السهولة والوضوح والترسل، والسلامة من التعقيد والغموض.

٢ـ الإيجاز والاختصار والتخلص من الحشو الذي لا يلائم ذوق العصر وحركته السريعة..

٣ـ الارتقاء بالأسلوب في صور من التحليل والتعليل وسلامة التراكيب.

٤ـ رقي اللغة بصفة عامة من خلال المزج بين جمالها الأدبي وجلالها العلمي.

---

(١) ينظر: تطور الأدب الحديث في مصر: د. أحمد هيكل، دار المعارف، ١٩٨٧م، ص١٠٣.

٥ــ الموضوعية في الجمع بين طرافة الموضوعات وجدتها، وواقعيتها وتناسبها مع عصرها شكلًا ومضمونًا.

٦ــ البلاغة الموضوعية التي لا يقصد بها البلاغة الاصطلاحية، وإنما يقصد بها الجمال اللغوي من خلال العرض المقالي الذي ينهي المراد إلى نفس المتلقي في يسر لا تكلف فيه.

٧ـ وضوح الأفكار، وتحليلها بالمنطق، واحتفالها بحقائق العلم وعطاءاته.

– مقتضيات الصحافة ليست دائمًا في صالح فن المقال:

ما تقرر سلفًا من آثار إيجابية للصحافة لم يكن ليمثل حالة دائمة في مسيرة فن المقال، إذ إن الصحافة بمقتضياتها المختلفة قد يكون لها آثار غير إيجابية، فقد تكون حاجة المطابع، ومواعيد الصحف، والرغبة في مخاطبة أكبر عدد من القراء الذين تختلف درجات ثقافاتهم وأذواقهم عوامل تدعو إلى مزيد من السهولة التي قد تتدنى بالكاتب ومستوى لغته إلى مهاوٍ من الابتذال والضعف في حين يُنتظر أن ترتفع الصحافة بذوق القراء وثقافتهم ولغتهم لا أن يهبطوا بها "ولسنا نشك في أن الصحافة إذا عُنيت بالغذاء الفكري والثقافة في دأب وصبر وحرص على التعمق أذكت في الأمة أدبها، ودفعته إلى التطور في شكله ومضمونه"(١).

إن الخط البياني لحركة الصحافة وتبايُن أثرها في فن المقال لما جعل يعتور مسارها في منحنيات متباينة على مستوى الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، جعل الشيخ محمد الغزالي يتساءل عمَّا آل إليه حال الصحافة والمقال وكتَّابه، آملًا أن ينهض منهم من يحقق نهضة أدبية قائلًا(٢): "هل نستطيع أن نفعل في ميدان الأدب كما فعل قادة الأدب منذ

(١) د. شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر ١٩٣٣م، ص٢٠٢.

(٢) رحلة في عقول مصرية: إبراهيم عبد العزيز، ص٣٣٧، ٣٣٨.

ربع قرن، واستطاعوا أن يصنعوا نهضة في الأدب العربي ذكَّرتنا بأيام ابن المقفع والجاحظ، وأيام القرن الثالث والرابع الهجريين إبان ازدهار الأدب العربي؟ هل نجد الآن من يكونون قدوة للشباب في الأداء الراقي، والديباجة المشرقة، وفي الأسلوب السهل، وقبل ذلك كله في الغايات الشريفة، وفي المعاني الحسنة النقية التي ترتبط بكلامهم ومقالاتهم؟".

وإذا كان مقال الشيخ الغزالي قد جُلِّل بتساؤل لطيف في أسلوبه، شريف في مقصوده، محفِّز وموجِّه على أسس قوية ترجو الخير للغتنا وأدبنا المعبِّرين عن هويتنا وعقيدتنا من خلال صحافتنا وكتَّاب المقالات، حيث تتمثل الأسس التي رسمها على النحو الآتي:

ـ الأسلوب السهل.
ـ الديباجة المشرقة.
ـ المعاني الحسنة النقية.
ـ الأداء الراقي الذي يجعل صاحبة قدوة.
ـ الغايات الشريفة.

إذا كان قد تقرر ذلك تساؤلًا لطيفًا في الأسلوب، شريفًا في المقصود، محفِّزًا وموجِّهًا على أسس قويمة ودعائم قوية ترجو الخير للغتنا وأدبنا المعبِّرين عن عقيدتنا وهويتنا، فإن الزيات يظل بفنه المقالي مِن خير مَن تمثلت لديهم ذلك بصورة جلية مشرقة رغم مرور قرابة قرن من الزمان على مقاله الجليل "الأزهر بين الماضي والحاضر" مما جعله جديرًا بالدراسة على مستوى الأسلوب، والديباجة، والمعاني، والغايات، والأداء المقالي الراقي.

الفصل الأول

مقال الزيات: "الأزهر بين الماضي والحاضر"

دراسة موضوعية

نص المقال[1]:

" ويل للأزهر من أهله!

كان منيعًا بالدين فابتذلوه بالدنيا، وعزيزًا بالعلم فأذلُّوه بالمال، ومستقلًّا في حمى الله فأخضعوه لهوى الحكم!

وكان سُنة واضحة لِهَدْى الشريعة استقام الناس بها منذ ألف عام على عمود واحد، فشبَّهوا وجوهها بالأنظمة الفجَّة، ولبَّسوا صورها بالأعلام المستعارة، ثم وقفوا لدى المفترق المبهَم الذي أحدثوه يُديرون أعينهم في الفضاء، ويَردُّونها من الأمام إلى الوراء، فلا يرون أقدامهم على أثر، ولا يَجدون وجوههم على سبيل!

كان للأزهر على عهدنا القريب جلالة تغشى العيون، وقداسة تملأ الصدور؛ لأنه المعقل الوحيد الذي ثبت لحملات الغيرَ، فانتهت إليه أمانة الرسول، واستقرت به وديعة السلف، واستعصمت فيه لغة القرآن، واستأمنت إليه آداب العرب؛ فأرضه حَرم لا يُنتهَك، وأهله حِمى لا يستباح، وأمْره قَدرٌ لا يُرَد[2].

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.، وكذا كتاب: وحي الرسالة لأحمد حسن الزيات، مكتبة
نهضة مصر ١٩٦٣م، ج ١، ص ١٩٢- ١٩٤.

(٢) ويل: الويل: حلول الشر. – فابتذلوه: جعلوه ممتهنًا ليس على تَحرُّزه وتَصَوُّنه رغم جلاله وجماله.
– على عمود واحد: أي هو ذو وجهة واحدة مستقيمة.
=

وكان لعلمائه مكانة في القلوب، ومهابة في النفوس؛ لأنهم دعاة الله، ووُرَّاث النبي، وهُداة المحجة؛ ينطق على ألسنتهم الكتاب، وتتمثل في أفعالهم السنة؛ فمحبتهم عقيدة، وطاعتهم فريضة، وإشارتهم نافذة.

وكان لطلابه كَلَف به لا يُتَّهم، وثقة برجاله لا تُحَد، وانقطاع إلى جواره، لا يبغون من ورائه غير فقه الدين وتحصيل المعرفة، وتجديد حبل الدعوة، فهم عاكفون على معاناة الدرس، قانعون بميسور العيش، لا ينصرفون عن حلقات التعلم بالقاهرة، إلا إلى حلقات التعليم في الريف.

كانت صلة العلماء بالحكومة صلة دينية، تقوم على حسْم المشاكل بالقضاء، وحَلِّ المسائل بالفتوى؛ وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية، يَجْلون صدأ القلوب بالذكر، ويكفكفون سَفَه الجوارح بالموعظة، ويَشْفون غِلَّ الجوانح بالمؤاخاة، فكانوا لذلك موضع الإجلال أنَّى حَلُّوا.

كنا نرى العالِم اذا نزل مدينة أو قرية، كان يوم نزوله تاريخاً لا يُنسَى: يأخذ الناس فيه حال من الشعور الصوفي يدفعهم إلى رؤيته، فيُهرَعون إليه كما يهرعون اليوم إلى زعيم الأمة أو إلى رئيس الحكومة، فيتوسَّمون في

=

– فشبَّهوا وجوهها بالأنظمة الفجَّة...: أي قلَّدوا الأنظمة غير المقبولة التي لا تناسب عقيدتنا وتقاليدنا.

– المفارق المبهم: يقصد الطريق المتشعبة غير المستقيمة، وغير المعلومة النهاية.

– أثر: علامة ودليل.

– فأرضه حَرم لا يُنتهَك: أي ذات حُرمة لا تذل، ولا تغتصب.

– وأهله حِمى لا يستباح: أي أنهم أصحاب حصانة وهيبة. – وأمْره قَدرٌ لا يُرَد: أي يوافق ما قدره الله.

أساريره نور الرسالة، ويتنسَّمون من أعطافه أريج النبوة، ويتخففون على يديه من أوزار العيش وتبعات الجهالة(١).

وطلاب الأزهر القديم لا يزالون يَذْكرون ما كان في نفوسهم لشيوخهم من الحب والتجِلَّة، كانوا يتحلقون حول كرسي الشيخ من غير نظام ولا ضابط، فيكون لهم على السبق إلى الأمام عِراك دامٍ، وصَخَب مُضم، حتى اذا ما أقْبَل خشعت الأصوات، وسكنت الحركات، كأن شيئاً علق الأنفاس فلا تَنْسِم، وعقد الشفاه فلا تَنْبِس!

وربما نزا اللِّجاج على لسان أحدهم أثناء المناقشة، فيغضب الشيخ، فلا يكون أنْكَى في عقابه من الاشارة إليه بالخروج من الدرس، أو الدعاء عليه بالقطيعة من الأزهر!

والقطيعة عن الأزهر كانت أقصى ما يتصوره الأزهري من شقاء الحياة!

فإذا انقضى الدرس وقال الشيخ: (والله أعلم) تضامَّت أطراف الحلقة عليه، وأَنحَى الطلاب بالقُبَل على يديه ورَدُنيه، فما يشق طريقه بينهم إلا بعد لَأْي.

---

(١) – وُرَّاث النبي: أي يرثون العلم ويحملون أمانة الرسالة ومسؤولياتها. – كلف: حب وولع.

– وإشارتهم نافذة: أي أن ما يشيرون به من رأي أو حكم ينفذ ولا يرد.

– هداة المحطة: أي يقومون على هداية الناس بالحجة البالغة الرشيدة.

– يجلون: يزيلون. – يكفكفون: يُذهِبون، ويمسحون السفه مرة بعد مرة.

– الجوارح: جمع جارحة، وهي أعضاء الجسد.. كاليد والرجل...

– غل الجوانح: الغل: شدة الغيظ، والجوانح: جمع جانحة، وهي ضلوع قصيرة.

– أساريره: خطوط في الوجه والجبهة.... يقصد ملامح الوجه الوجهه.

– أعطافه: جمع عطف، وهو جانب الشيء. – أريج: طيب الرائحة.

– أوزار: أعباء وأثقال وتكاليف. – تبعات: عواقب الأمور وما يترتب على آثارها.

تَدبَّر ذلك في نفسك على إجماله وعمومه، ثم اقرنه إلى ما تسمع اليوم أو تقرأ من خبر الأزهر وحال علمائه وأبنائه، فهل تجد المعهد هو المعهد، والناس هم الناس؟

إن الأزهر البائد على فوضاه المنظمة كان أَجْدَى على الدين، وأعْوَد على الثقافة من هذا الخَلْق المسيخ الذي وقف بين الماضي والحاضر، وبين الدين والسياسة، موقفاً يُندِى الجبين الصُّلب، ويُوجِع الفؤاد المُصْمت![1]

تَقَلَّب بعض زعمائه على فُرُش الديباج، وخبوا في أفواف الشاهي، وتأنَّقوا في ألوان الطعام، وتَنبَّلوا بالمظاهر الفخمة، وسردوا أعداد الدنانير على المسابح العِطرة.

وكان أسلافهم طيب الله ثراهم كما طيب ذِكراهم يَتستَّرون بمرقعات القطن، ويَتبلَّغون بقشور البطيخ، ويستروحون النسيم على شُرفات المآذن.

ثم شايعوا أهواء الناس، وصانعوا أهل النفوذ، وجَرَوا في تمكين أمورهم وترفيه نفوسهم على الضراعة والملق؛ من أجل ذلك فقدوا خطرهم في الخاصة، وأثرهم في العامة، وجَرُّوا معهم كرامة الدين إلى هذا المنحدر.

---

(١) – التجلة: الإجلال، والجبال. – صخب مصم: أي ضوضاء تصم الآذان، وتكاد لا تسمع.

– علق الأنفاس فلا تَنْسِم، وعقد الشفاه فلا تَنْبِس: أي أوقف حركة الأنفاس والكلام.

– نزا: أغرى بهم أو بينهم. – اللجاج: اختلاط الأصوات في صخب وجلبة.

– أنكى: أشد وأوقع. – أنحى: مال إليه وقصده.

– ردنيه: مثنى ردن وهو الكُم – لأْي: جهد ومشقة.

– البائد: العهد البائد أي الماضي. – المسيخ: الذي تحولت صورته إلى صورة غير مستحسنة.

– المصمت: الجامد القوي.

إن في بقية السلف من أعلام الأزهر مَفْزعاً من هذه الحال الأليمة. فليعملوا لرد هذا المعهد الكريم إلى نظامه، فان شديدًا على النفس أن يضطرب فيه الأمر، ويُشْرَى به الفساد، حتى تُطرَد طلابه، وتُغْلَق أبوابه.

لقد قرأت بالأمس فصلًا عن الإسلام في مجلة شهرية فرنسية يقول كاتبه فيه:

(لقد انحسر الإسلام عن بلاده أو كاد، فلم يَبْقَ مُدَوِّيًا مُتوثِّبًا إلا في الأزهر) فماذا عسى أن يقول هذا المأفون، إذا قيل له غدًا: إن هذا الدوي قد سكن، وهذا التوثب قد قر؟

لا جَرَم أن المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه أَقْدَر على دَرْء هذه الكارثة، متى أنضَجوا الرأي، وأجمَعوا الكلمة.

والحكومة القائمة أرْبأ بعهدها عن هذا الحدث، وأضنُّ بتاريخها على هذه الصفحة.

وليس في مصر ولا في غير مصر ضمير نزيه يرضيه أن تعبث الشهوات الرُّعن[1] بهذا المعقل الديني الذي عصم القرآن، ولغته وعلومه من طغيان الأحداث والفتن عشرة قرون[2].

---

(١) صانعوا: جعلوا يجارون ويداورون. – يشرى به الفساد: يباع، والمقصود: حدوثه.
– انحسر: انكشف وانقبض. – المأفون: ضعيف العقل والفكر. – الديباج: الحرير.
– أفواف: ثياب رقاق موشاة. – تتبَّلوا: تظاهروا بمظاهر النبلاء. – يتبلغون: يقنعون ويكتفون.
– أنضجوا الرأي: أصابوا وسلم رأيهم. – أربأ: أعلى وأرفع. – أضن: أحرص وأكثر حذرا.
– الرعن: جمع رعناء، ومذكرها أرعن، أي أهوج أخرق.

(٢) اعتمدت في بيان معاني المفردات على معجم: لسان العرب لابن منظور، ط دار صادر، بيروت ١٩٥٦م، وكذا المعجم الوسيط، اصدار مجمع اللغة العربية، ط٣، ١٩٨٨م.

المبحث الأول: الزيات: إضاءة تعريفية.

• الزيات: المولد والنشأة:

ولد "أحمد حسن الزيات" في قرية "كفر دميرة القديم"، مركز "طلخا"، محافظة "الدقهلية" في (١٦ من جمادى الآخرة ١٣٠٣ هـ – ٢ من إبريل ١٨٨٥م).

ونشأ في أسرة متوسطة الحال، تعمل بالزراعة، وكان لوالده نزوع أدبي، وتمتّعت أمه بلباقة الحديث وبراعة الحكي والمسامرة.

• مسيرته التعليمية:

_ في الكُتَّاب: بدأ "الزيات" يتلقى تعليمه الأوَّلي في كُتَّاب القرية في الخامسة من عمره، فتعلم القراءة والكتابة، وأتمّ حفظ القرآن الكريم وتجويده، كما أتقن القراءات السبع في قرية مجاورة على يد أحد علمائها.

_ في الأزهر الشريف: التحق "الزيات" بالجامع الأزهر وهو في الثانية عشرة من عمره، وكانت الدراسة فيه مفتوحة لا تتقيد بسن معينة، وقد ظل بالأزهر عشر سنوات، تَلَقَّى في أثنائها علوم الشرعية والعربية، غير أن ميوله إلى الأدب كانت أقوى، وذلك لأسباب:

_ بعضها يرجع إلى نشأته وتكوينه في أسرته.

_ وبعضها يرجع إلى تعلقه بدروس بعض شيوخه من أعلام اللغة والأدب والبلاغة أمثال:

الشيخ "محمد عبده" من خلال شرحه كتابَي "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" "لعبد القاهر".

والشيخ "سيد علي المرصفي" من خلال شرحه "حماسة" أبى تمام، وكتاب "الكامل" للمبرِّد.

والشيخ "محمد محمود الشنقيطي" من خلال شرحه المعلقات.

- **زمالة الزيات الدراسية:** أثناء الدراسة توثقت صلة "الزيات" بزميليه: "طه حسين"، و"محمود زناتي"، حيث انعقدت بين ثلاثتهم صلة روحية وفكرية، وربطهم حب الأدب برباط المودة والصداقة، فكانوا يترددون على دروس شيوخهم في الأزهر، كما كانوا يقضون معًا أوقاتًا طويلة في "دار الكتب" لمطالعة أمهات كتب الأدب العربي، ودواوين فحول الشعراء.
- **تحوُّل "الزيات" عن الأزهر إلى الجامعة الأهلية:** حين فَتحت الجامعة الأهلية أبوابها للدراسة في سنة (١٣٢٩ هـ -١٩٠٨م) تَحوَّل الزيات عن الأزهر إليها، حيث راح يتلقى الدراسة بها، وفيها تتلمذ لنفر من كبار المستشرقين أمثال: "جويدي" و"ليتمان"..
- **الزيات في مسيرته العملية:** في أثناء فترة التحاق "الزيات" بالجامعة عمل مدرسًا للغة العربية بمدارس "الفرير" الأجنبية في مصر، حتى تمكن من نيل (الليسانس) في الآداب سنة (١٣٣١هـ -١٩١٢م).

وبعد التخرج حال ضعفُ بصره دون العمل بالتدريس في دار العلوم، فعمل بالتدريس في المدرسة الإعدادية الثانوية في سنة (١٣٣٣هـ - ١٩١٤م) حيث ظفر فيها بالعمل مع عدد من الزملاء الذين صاروا من قادة الفكر والرأي والأدب في مصر، أمثال: "العقاد"، و"المازني"، و"أحمد زكي"، و"محمد فريد أبو حديد".

وقد أتيح "للزيات" في هذه المدرسة أن يسهم في العمل الوطني ومقاومة الاحتلال الإنجليزي، ولما قامت ثورة ١٩١٩م كان يقوم بكتابة المنشورات السرية التي عملت على إشعال الثورة.

على أنه لما عرض عليه أن يقوم بالتحرير في صحيفتَي "مصر" و"الاستقلال" أبى لما كان يرى في ذلك من تهمة الانحياز إلى حزب سياسي قد يؤدي إلى تورطه في أمور سياسية تنأى عنها نفسه.

• **الزيـات معلِّمًـا وطالبًـا للعلـم:** فـي عـام (١٣٤١هـ – ١٩٢٢م) اختـارت "الجامعـة الأمريكيـة" "بالقـاهرة" "الزيـات" للعمـل رئيسًـا للقسـم العربـي بهـا. وفـي أثنـاء ذلـك التحـق بكليـة الحقـوق الفرنسـية، حيـث كانـت الدراسـة بهـا ليلاً علـى مدى سنتين في مصر، وسنة ثالثة في فرنسا حيث حصل على (ليسانس) الحقوق من جامعة "باريس" في سنة (١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م).

• **التـدريس فـي دار المعلمـين العليـا بـالعراق:** فـي (١٣٤٨ هـ – ١٩٢٩م) استقدمت دار المعلمين العليا "ببغداد" "الزيات" للتدريس بها، فمكث هنـاك ثـلاث سـنوات، حفلـت بالعمـل الجـاد، والاخـتلاط بالأدبـاء والشـعراء العراقيين، وإلقاء المحاضرات.

• **التفرُّغ للصحافة والتأليف وإصدار الرسالة:** بعد عودة "الزيات" من "بغداد" سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٣) ترك التدريس، ليتفرغ للصحافة والتأليف، كما أنه جعل يفكِّر في إنشاء مجلة للأدب الراقي والفن الرفيع.

وفـي (١٨ رمضـان ١٣٥١ هـ/١٥ ينـاير ١٩٣٣) وُلـدت مجلـة "الرسـالة" عملاقـة ذات ثقافـة أدبيـة وفكريـة راقيـة رقراقـة، وأهـداف وغايـات سامية، حيث تسعى إلى تحقيق الآتي:

_ إحياء التراث. _ بعْث الروح الإسلامية.

_ ربْط القديم بالحديث. _ الدعوة إلى وحدة الأمة.

_ وَصْل الشرق بالغرب. _ محاربة الخرافات.

_ العناية بالأسلوب الرائق، والكلمة الأنيقة، والجملة البليغة.

وقد نجحت "الرسالة" في فترة صدورها، فيما أعلنت عنه من أهداف وغايـات، فكانـت سـفيرًا للكلمـة القيمـة والأدب الراقـي فـي العـالم العربـي مـن خلال الآتي:

_ إفساح صفحاتها لأعلام الفكر والثقافة والأدب.

_ بعْثها جيلًا جديدًا من الكتاب والأدباء صاروا كذلك من أعلام الفكر والثقافة والأدب.

وقد ظلت مجلة الرسالة تؤدي رسالتها حتى احتجبت في ١٥ فبراير ١٩٥٣).

ثم أعاد الزيات إصدارها سنة ١٩٦٣م، غير أنها لم تنل مكانتها الأولي فاحتجبت.

ثم تولى الزيات تحرير " مجلة الأزهر " بين سنتي ١٣٧٢ و١٣٦٤هـ.

• **الزيات مدرسة كتابة:**

يُعَد الزيات صاحب مدرسة في الكتابة، حيث عُرف بطريقته الخاصة في الصياغة والتعبير من خلال ما تميزت به على النحو الآتي:

_ أسلوبه البياني الثري الواضح المتميز.

_ انتقاء الألفاظ والمفردات وحسن توظيفها بمهارة.

_ العناية بهندسة الجمل وازدواجها.

والزيات عند الكثرة الكاثرة من رواد الأدب وشداته يُعَد أكتَبَ كتابنا في العصر الحديث".

وقد عالج الزيات في أدبه المقالي شتى الموضوعات الأدبية والثقافية، والسياسية والاجتماعية، يمحص ويحلل، وينتقد ويبدي رأيه، ويفصل ويعلل، يبحث عن الحلول، ويرسم سبل الوصول إلى الغايات، وتحقيق الأهداف..

• **وتبدو أهم الموضوعات التي عالجها متمثلة في الآتي:**

_ تعبئة الشعب لمحاربة الاحتلال. – مهاجمة الإقطاع.

_ العناية بتعميق مفاهيم العروبة. – نقد الحكام.

_الدفاع عن حضارة الأمة.

_ مواجهة المستشرقين الذين يسعون إلى تجريد الأمة من كل فضل، ونسبته إلى غيرهم..

_ الوقوف في وجه دعاة الفرعونية التي تسعى إلى قطع مصر عن كيان الأمة العربية.

ومن مقالات الزيات ضد الاحتلال مقاله: ماذا بعد هذا؟ الذي يقول فيه(١):

"إن اللغة التي يفهمها طغام الاستعمار جعل الله حروفها من حديد، وكلماتها من نار، فدعوا الشعب يا أولياء أمره يعبّر للعدو عن غضبه بهذه اللغة، وإياكم أن تقيموا السدود في وجه السيل، أو تضعوا القيود في رِجل الأسد، أو تلقوا الماء في فم البركان، فإن غضب الشعوب كغضب الطبيعة، إذا هاج لا يُقْدَع، وإذا وقع لا يُدْفَع ...".

• نتاج الزيات:

أثرى الزيات المكتبة العربية بعدد من المؤلفات والمترجمات القيمة، والمقالات والتراجم الثرية:

_ كتاب تاريخ الأدب العربي _ كتاب في أصول الأدب

_ كتاب دفاع عن البلاعة

_ وحي الرسالة. أربعة مجلدات. جمع فيها الزيات مقالاته وأبحاثه التي نشرها في مجلته.

_ترجمة "آلام فرتر" لجوته التي وصفها المستشرق المجري جرمانوس بأنها تَفضُل الأصل.

_ ترجمة رواية "رفائيل" للأديب الفرنسي لامرتين.

---

(١) مجلة الرسالة، العدد ٩٦٢، ١٠ ديسمبر ١٩٥١م.

• **الزيات في المجامع والمجالس العلمية:**

_ تم اختياره عضوًا في المجامع اللغوية في القاهرة، ودمشق، وبغداد.

_ عُيِّن في المجلس الأعلى للآداب والفنون، كما عُيِّن في التأليف والترجمة والنشر بمصر.

• **تكريمه:**

_ جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م عن كتابه وحي الرسالة.

_ ثم نال جائزة الدولة التقديرية ثانية سنة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م عن حياته الأدبية.

• **وفاته:**

ظل الزيات موضع اهتمام، ومحل تقدير، حتى لقي ربه بالقاهرة في صباح الأربعاء الموافق (١٦ ربيع الأول ١٣٨٨ هـ/١٢ مايو ١٩٦٨) عن ثلاثة وثمانين عامًا[١].

(١)ينظر حول هذه الإضاءة التعريفية عن الزيات: قمم أدبية لنعمات أحمد فؤاد، عالم الكتب، القاهرة– ١٩٤٨م. وكذا: أحمد حسن الزيات كاتبًا وناقدًا لنعمة رحيم العزاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. وكذا: المجمعيون في خمسين عامًا: المجمعيون في خمسين عامًا لمحمد مهدي علام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ١٤٠٦ هـ= ١٩٨٦م. وكذا: أحمد حسن الزيات – ويكيبيديا.
https://ar.wikipedia.org/wiki/

المبحث الثاني: مقال الزيات: دراسة موضوعية:

أولاً: فكرة المقال وظروف إنشائه:

أنشأ الزيات هذا المقال وقام بنشره في ٢٥ فبراير ١٩٣٥م في العدد ٨٦ في مجلة الرسالة قبل قيام الحرب العالمية الثانية بأربع سنوات وبضعة أشهر في ظروف كانت مصر فيها بكل مؤسساتها وطوائفها تعاني ويلات حقبة تمالأت عليها قُوى مختلفة: ما بين احتلال معتدٍ جاثم ظالم، ونظام حكم مائل ماثل في النظام الملكي بكل ما فيه من اختلال في مسؤوليته المتمثلة في موالاته خلافة ضعيفة مريضة عاجزة عن حماية ولاياتها من احتلال مذلٍّ، كان قد مضى على تمكُّنه من السيطرة على مقدرات البلاد أكثر من نصف قرن من الزمان.

والأزهر الشريف مع كل هذا يُبلي بلاءه المشهود من خلال وجوده الحي القوي: فقهًا وعلمًا وفكرًا قادرًا على التأثير على نحو ما تمثل في مواجهة الحملة الفرنسية وإجلائها، ثم التأسيس لنهضة مصر منذ تنصيب "محمد علي" واليًا على مصر، ثم في مواجهة حملة " فريزر" الإنجليزية ١٩٠٧م وصدها، ثم في مواجهة الاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢م لولا العمالة والخيانة.

والأزهر الشريف كيان عظيم في مصر مثل باقي كيانات مصر في التأثر بكل تلك الأحداث وغيرها، يعتوره بعض الهنات التي تلحق بغيره، وهو وإن كان يمثل القلب بالنسبة لتلك الكيانات والأجزاء، فإن الذي لا مناص منه هو تأثر القلب جراء ما أصاب الجسد والكيان كله.

وهكذا جاء مقال "الزيات" ليعالج مسيرة هذا الصرح التليد العتيد مصبوغًا بصبغة اجتماعية نقدية، تنهض الرؤية النقدية من خلال معالجته على وجهين:

-أحدهما: ذاتي: من خلال انتساب "الزيات" إلى الأزهر والتحاقه بالدراسة في رحابه على مدى سنوات عملت على تأسيس شخصيته وتكوينه العلمي والأدبي.

-وثانيهما: يمثل نقد الآخر من خلال تحوُّل "الزيات" إبان مسيرته التعليمية في المرحلة الجامعية بالأزهر إلى الجامعة الأهلية، ثم في جامعة "باريس" الفرنسية مع رفد ذلك كله بقنوات ثقافية ومعرفية مختلفة، حيث تمازج ذلك كله في نسيج هذا المقال من خلال أسلوب ثري رفيع، جمع فيه "الزيات" بين جمال الأدب وجلال العلم، وقوة الرأي وسمو الفكر، ونُبْل الهدف، وشرف الغاية.

ثانيًا: مقال الزيات: قضايا وموضوعات:

١ـ بين توازن العنوان وتصادم الاستهلال:

من عنوانه يعرف الخطاب أو المقال، على نحو ما تَوَّج به "الزيات" مقاله عن هذا الكيان التاريخي الذي تجاوزت مسيرته ألف عام، حيث جاء عنوانه: " الأزهر بين الماضي والحاضر"[١] يشي بأن معالجة الكاتب موضوع مقاله ستنهض على موازنة بين تاريخ الأزهر في ماضيه وبين حاضره وواقعه، وما يؤمله لهذا الكيان الشريف حتى تستمر مسيرته علِيِّة الراية، حاملة مقاصده الشريفة، وغاياته السامية بالإنسانية نحو كل خير..

والموازنة الطبيعية بصورة موضوعية تقتضي النظر تجاه كل طرف بما يحسب له أو عليه، غير أن الكاتب الذي يعرف من أول الأمر الهدف الذي يرمي إلى تحقيقه، والغاية التي يقصد أن يبلغها، وهدف الكاتب وغايته في هذا المقال هو أن يَسلم هذا الكيان الشريف من كل شر، وأن

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

يظل ناهضًا قويًّا أبد الدهر، ولذا فإنه لا يُعوِّل على أمجاد الماضي الذي ذهب وبقيت آثاره القويمة خالدة وذات تأثير فحسب، وإنما هو يعول على الحاضر الذي يمكن معالجة هناته حتى تستمر في قوة مسيرة كيانه، ويرتفع بنيانه في نسيج متين لا يبدو أخلَقَ من قديم نسيجه ..

على أن افتتاحية المقال – مع الاعتذار لأهل البلاغة – لم تتمثل فيها براعة الاستهلال بقدر ما تَمَثل فيها من صراحة صارخة صادمة، تلك التي جاءت في جملة واحدة تحمل سهام نقد قوية متمثلة في "مُسنَد" مجلجِل في قوله: "ويل للأزهر" قد قيَّد الكاتب فيه سهام نقده إلى "المسند إليه" "الأزهر" بقيد محدِّدٍ فيه مصدر هذا الويل بكونه "من أهله"!

٢_ الأزهر بعد أن جاوز ألف عام، كيف كان؟ وكيف أصبح الآن؟

لم يستغرق الزيات في مفتتح مقاله سوى جملة واحدة ألقى من خلالها باللائمة على أهل الأزهر، وهي جملة واحدة، لكن الأسلوب فيها حادٌّ، بل قاسٍ مثل الدواء المر الذي يصفه الطبيب الحاذق الذي لا يرجو للمعالَج إلا كل خير...

وهكذا طفق الزيات يُدْلِف من أقصر طريق إلى رحاب موضوعه معترفًا ومقدِّرًا قيمة الأزهر التاريخية في عزة وقوة دونها كل ما سواها؛ إذ يجمع برمزيته بين القوة الروحية والمادية: حيث تتمثل الأولى في علومه الدينية، في حين تتمثل الأخرى في أدوار علمائه الذين سجل لهم التاريخ بأحرف من نور إنتاجهم العلمي العظيم في كل ما يتعلق بأمور الدنيا من أجل خير الإنسانية وتحضُّرها.

وقد تمثَّل ذلك لدى الزيات من خلال الاستقامة في سبيل الدعوة إلى الله بعزة وترفُّع على بصيرة وعلم دون اشتباه أو التباس، ولذا ينعى الزيات

على أهل الأزهر اختلاط السُّبل التي تؤدي –بلا ريب– إلى التحرُّر في الوجهة، بل التوقف والنكوص على نحو ما يقول(١):

" كان منيعاً بالدين فابتذلوه بالدنيا، وعزيزاً بالعلم فأذلوه بالمال، ومستقلاً في حمى الله فأخضعوه لهوى الحكم!

وكان سنة واضحة .... فشبهوا وجوهها بالأنظمة الفجة، ولبسوا صورها بالأعلام المستعارة، ثم وقفوا لدى المفترق المبهم الذي أحدثوه يديرون أعينهم في الفضاء، ويردونها من الأمام إلى الوراء، فلا يرون أقدامهم على أثر، ولا يجدون وجوههم على سبيل!"

وبقدر ما تكشف هذه المعالجة المقالية عن مدى الوعي والغوص في أعماق تاريخ الأزهر، والتفتيش في أروقته، وتَفرُّس أحوال أهله لا عن ظن أو تخمين، ولكن عن خبرة وتمحيص، جاءت معالجة الزيات في مقاله تتحلى بقدر هائل من المبالغة في تحميل الأزهريين مسؤولية واقع ليس من صُنْعهم وحدهم، إذ إن هذا الواقع المختلط هو من صَنَع مؤسسات وطوائف وظروف عديدة لها ما لها، وعليها ما عليها تجاه الأزهر الشريف وما أَلَمَّ به، وليس الغرض هو التنصل من المسؤولية لدى كل مسؤول، فالكل راعٍ، والكل مسؤول..

لقد تأسست في مصر مؤسسات علمية وثقافية وإدارية وتشريعية وتنفيذية أُعطِيتْ من الإمكانات والصلاحيات ما يفوق ما يتاح للأزهر الشريف أضعافًا مضاعفة مع التقدير لكل ما تقوم به كل مؤسسة بصورة تُقدِّر كل الإيجابيات وكذا السلبيات لدى الجميع..

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

ورغم ما يبدو من تحلِّي المعالجة المقالية بذلك القدر من المبالغة في البحث عن السلبيات والأسباب التي أدت إلى الوقوع في الهنات، فإن الزيات يبدو مثل الطبيب الذي يأخذ بعديد من الوسائل التشخيصية والتحليلية التي تصور الواقع بدقة تكاد تَعُد السلبيات عدًّا، لتُوَصِّف العلاج الناجع بدقة، وتحدد المقادير اللازمة بجدة، على أن حُسْن النية تبدو جلية؛ إذ إن الزيات لا يتكلم عن مجرد تعداد السلبيات، حيث هو لا يذكرها إلا أردف بما يقابلها، بل إن المقابل الإيجابي هو ما ينزع إليه ما وسعه إلى ذلك النزوع سبيلا..

٣_ الأزهر الشريف في الماضي القريب:

ينتقل الزيات في حديثه عن الأزهر الشريف في ماضيه بصورة عامة تلك التي عبر عنها بقوله[١]: "وكان سُنة واضحة لِهَدْى الشريعة استقام الناس بها منذ ألف عام على عمود واحد" إلى الحديث عن الأزهر في ماضيه القريب، على نحو ما يقول[٢]:

"كان للأزهر، على عهدنا القريب، جلالة تغشى العيون، وقداسة تملأ الصدور، لأنه المعقل الوحيد الذي ثبت لحملات الغيرَ فانتهت إليه أمانة الرسول، واستقرت به وديعة السلف، واستعصمت في لغة القرآن، واستأمنت إليه آداب العرب، فأرضه حَرم لا يُنتهك، وأهله حمى لا يستباح، وأمره قَدرٌ لا يُرد؛ وكان لعلمائه مكانة في القلوب، ومهابة في النفوس، لأنهم دعاة الله، ووراث النبي، وهداة المحجة؛ ينطق على ألسنتهم، وتتمثل في أفعالهم السنة؛ فمحبتهم السنة؛ فمحبتهم عقيدة، وطاعتهم فريضة، وإشارتهم نافذة".

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

(٢)السابق نفسه.

والحديث عن حسن النية من كاتب يملك هذه الشخصية القوية حيال هذا الصرح المنيف الشريف عبر تاريخه العام جعل هذا الحديث في الفقرة السابقة عن تاريخ الأزهر القريب يبدو أشد حميمية، ولذا فقد تجرد هذه المرة من سرد أي صفة سلبية، وكأني به قد أراد أن يرسل – بعد رسالة الافتتاح المجلجلة الصادمة – رسالة تطمين لأهل الأزهر خاصة، والمجتمع الذي يثق بهم عامة؛ كي يدرك الجميع أن الرسالة الأولى لم تك تحمل أو تمثل سوى أجراس يقظة، في حين جاءت الرسالة هنا ذات جرْس مقالي جليل، في صورة نشيد وترتيل بياني نبيل يقدِّره أولو الألباب وقراء التاريخ بوعي واهتمام، فضلًا عن مجتمع أهل الإسلام والإيمان، حيث يقرر في جُمل خبرية واثقة متعانقة متأنقة ما يأتي:

-جلال الأزهر الشريف وقداسته في العيون والصور.

-الأزهر الشريف هو المعهد الوحيد الذي ثبت في مواجهة حملات العدوان.

-الأزهر الشريف هو رمز الأصولية النقية القويمة.

-الأزهر الشريف هو حِمَى لغة القرآن الكريم.

-رحاب الأزهر الشريف حَرم، ولأهله حرمات حَمْل دعوة الإسلام وهداية الناس.

-أهل الأزهر الشريف محبتهم من الدين، وإشارتهم بالحق لا تُرَد.

٤_ طلاب الأزهر الشريف ودورهم في تجديد حبل الدعوة:

كانت الرسالة التطمينية السابقة إلى أهل الأزهر عامة وعلمائه خاصة، ولذا فإن الزيات بسعة أفقه وشمولية رؤيته لم يكن ليغفل شأن عنصر امتداد المسيرة من خلال طلاب الأزهر الذين خصهم برسالة تالية مؤمنًا بإمكاناتهم واهتماماتهم، واثقًا بقدراتهم على حمل أمانة الدعوة، وتجديد حبلها المتين مقدِّمًا لهم بوصفهم نماذج مضيئة من طلاب الأزهر في الماضي كاشفًا عن أهم الأسس التي تم تربيتهم عليها، وإعدادهم من خلالها

ليكونوا حلقة الوصل بين الأزهر في القاهرة ومختلف الأقاليم في شتى ربوع البلاد، حيث تتمثل هذه الأسس فيما يأتي:

– العلم رسالة جليلة والتفرغ لتحصيله في رباط وإخلاص.

–الثقة بالعلماء والشيوخ أجلَّ ثقة.

–التنشئة على القناعة في الطفولة والشبيبة تطبعهم بهذا الطابع الرفيع في كل حال.

–الإيمان بأن رسالتهم هي العلم والفقه والأدب تلقِّيًا وأداء وممارسة أينما حلُّوا أو ارتحلوا.

يقول الزيات(١):

"وكان لطلابه كلف به لا يُهتم، وثقة برجاله لا تحد، وانقطاع إلى جواره لا يبغون من ورائه غير فقه الدين وتحصيل المعرفة وتجديد حبل الدعة، فهم عاكفون على معاناة الدرس، قانعون بميسور العيش، لا ينصرفون عن حلقات التعلم بالقاهرة، إلا إلى حلقات التعليم في الريف.

٥– **علماء الأزهر الشريف وعلاقتهم بالحكام والمحكومين في الماضي:** إن الزيات وهو بسبيل معالجة موضوعه يُعمِل قلمه بمهارة واقتدار، حيث يرجو لقرائه دائمًا بأهمية ما يعرض عليهم، إذ لا يكتفي بمجرد الحديث عن الأزهر وأهله علماء وطلابًا، فنراه تارة يقرر طبيعة علاقتهم بالسلطة كيف كانت؟ حيث صورها في صورة مترفعة؛ فلا أرفع من أن تقوم على الفقه والعلم، إذ يتمثل ذلك على سبيل المثال في فتوى هم وحدهم أهلها، أو قضاء وحكم لا يُرَد على نحو ما يقول(٢):

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

(٢) السابق نفسه.

"كانت صلة العلماء بالحكومة صلة دينية، تقوم على حسم المشاكل بالقضاء، وحل المسائل بالفتوى".

في حين نراه تارة أخرى يقرر مصورًا بريشة الكاتب الفنان وقلمه كيف كانت علاقة علماء الأزهر بالأمة؟ حيث صورها سامية نامية ممتدة من القلوب إلى القلوب، نقية في جوانبها المادية، قوامها المؤاخاة في الله "كأنهم بنيان مرصوص" وعلى الجملة فإن علاقتهم بالأمة من خلال تلك الأسس القويمة جعلتهم في أعلى قدر من المثالية؛ فلا أجلَّ من أن تكون العلاقة علاقة روحية على نحو ما يقول(١):

"وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية، يجلون صدأ القلوب بالذر، ويكفكفون سفه الجوارح بالموعظة، ويشفون على الجوانح بالمؤاخاة، فكانوا لذلك موضع الاجلال أني حلوا".

ثم أردف الزيات بتصوير العلاقة الروحية بين الأمة وعلماء الأزهر الشريف من خلال تقديم صورة تعد تاريخية جليلة لأحد علمائه إذ يحل ضيفًا في إقليم من الأقاليم، حيث صور الزيات ذلك بقلمه الذي قد يفوق في إبداعه أحذق الرسامين والمصورين؛ إذ هو لا يقدم لمتلقيه صورة دقيقة في تفاصيلها، ناصعة في ملامحها، وإنما هو يقدمها متجاوزًا حدود المظهر إلى أعماق الجوهر، واصفًا خفقات الشعور، ومعبِّرًا عن الأريج، وأسرار النور لا من خلال صورة العالم في شخصه فحسب، بل من خلال صورته في وجوه الناس ومشاعرهم وأساريرهم الشفيفة الرفيفة الصادقة على نحو ما يتمثل في تصويره، إذ يقول(٢):

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

(٢) السابق نفسه.

"كنا نرى العالم اذا نزل مدينة أو قرية كان يوم نزوله تاريخاً لا يُنسى: يأخذ الناس فيها حال من الشعور الصوفي يدفعهم إلى رؤيته، فيهرعون إليه كما يهرعون اليوم إلى زعيم الأمة أو إلى رئيس الحكومة، فيتوسمون في أساريره نور الرسالة، ويتنسمون من أعطافه ريح النبوة، ويتخففون على يديه من أوزار العيش وتبعات الجهالة".

٦- طلاب الأزهر مع شيوخهم في موازنة بين حالهم قديمًا وحديثا:

لإيمان الزيات الشديد بدور الطلاب وأهميته البالغة فقد عاد إلى الحديث عنهم من باب الإلحاح على الفكرة حتى تتأكد، ومثلما تحدث من قبل عن الأزهر من خلال علمائه في الماضي القريب تدعيمًا لموقفه الصادم منذ بداية المقال، ورأيه القوي المجلجل من خلال ما يستشعره من ائتناس بمعرفة البعض بهذا الماضي الذي وصفه بالقريب بصور ما، فإنه يعمل على مزيد من التدعيم والاستيثاق لرأيه على حد قول المثل[١]: *إذا قالت حزام فصدقوها...* يعاود الحديث عن طلاب الأزهر في أجيالهم القديمة الذين ينعمون بالحياة على حد قوله[٢]: "وطلاب الأزهر القديم لا يزالون يذكرون ما كان في نفوسهم لشيوخهم من الحب والتجلة...."

والزيات بهذا الحديث الذكي الشجي يهدف إلى تحقيق أكثر من أمر مهم في معالجته المقالية على النحو الآتي:

-الأول: إهداء طلاب العلم الجدد المحترفين نموذجًا لطلاب العلم القدامى العصاميين الذين عانقوا الشموس والأقمار بأدبهم وعلمهم وقناعتهم، وإجلالهم لشيوخهم، وإخلاصهم في تلقِّي علومهم.

---

(١) أبو عبيد البكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ت د. إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، ص٤٢.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

-الثاني: إهداء الشيوخ والعلماء نموذجًا للشيخ العالم في وقاره ومهابته في حلقات العلم، وإقبال طلابه عليه في تنافس وتسابق مثير..

-الثالث: عقد موازنة عن الأزهر بين حال علمائه وطلابه ونظامه قديمًا، وحال علمائه وطلابه ونظامه حديثًا.

_ يقول الزيات مصورًا ذلك[1]: "وطلاب الأزهر القديم لا يزالون يذكرون ما كان في نفوسهم لشيوخهم من الحب والتجلة....".

_ ثم يقول مصوِّرًا حال حالهم مع شيخهم حين بنتهي من درسه:" فإذا انقضى الدرس، وقال الشيخ: (والله أعلم) تضامت أطراف الحلقة عليه، وأنحى الطلاب بالقبل على يديه وردنيه، فما يشق طريقه بينهم إلا بعد لأي".

_ ثم يقول حاثًّا على تدبر الأمر من خلال الموازنة:" تدبر ذلك في نفسك على إجماله وعمومه، ثم اقرنه....".

_ ثم يقول مقرِّرًا نتيجة الموازنة:" إن الأزهر البائد على فوضاه المنظمة كل أجدى على الدين وأعْوَد على الثقافة....".

_ ثم يقول معلِّلًا ما قرره آنفًا نتيجة تعلُّق بعض زعماء الأزهر بأسباب مادية: تقلب بعض زعمائه على فرش الديباج....، وسردوا أعداد الدنانير على المسابح العِطرة".

_ ثم يقول معلِّلًا ما قرره آنفًا نتيجة تعلُّق بعض زعماء الأزهر بأسباب أخرى معنوية:" ثم شايعوا أهواء الناس، وصانعوا أهل النفوذ، وجَرَوا في تمكين أمورهم وترفيه نفوسهم على الضراعة والملق....".

(١) السابق نفسه.

جاءت الموازنة لا أقول: كما أرادها الزيات، فالواقع الذي قرره الصادق المعصوم سيدنا محمد ﷺ بقوله[١]: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...." يُذكِّر بأن السابق أكثر فضلًا وخيرًا، على أنه ﷺ في بيانه الصادق يذكر كذلك بأن في القرون التالية خيرًا وفضلًا، وإن تناقص من قرن لآخر، فإنه لم يلحق أي إهانة بالقرون التالية التي يتناقص خيرها وفضلها.

لقد نهضت موازنة الزيات على أمثلة من الواقع، غير أن المعالجة المقالية الصادحة بالرأي من خلال هذه الموازنة تستدعي الإشارة إلى أمرين مهمين:

– الأول: أنه مع التسليم بواقعية ما يضربه الزيات من أمثلة، ونُبْل ما يقصد إليه من غاية، فإن ذلك جاء متحليًّا بقدر من المبالغة في عرض سلبيات الحاضر دون أن يعرض إيجابيات تذكر..

كما أنه لم يكن مراعيًا ما قررته السنة الكريمة والواقع من تفوق السابق في الفضل والخيرية على اللاحق...

وكذا غاب عن إدراكه أن الأزهر الشريف له رؤاه وإمكاناته التي تحلَّى – واقعيًّا – بتطورها وتغيرها تعبيرًا عما يناسبه ويناسب المجتمع والزمان والمكان، والدين الإسلامي الحنيف يقرر ذلك كما في قول الله عزّ وجلَّ[٢]: (فَاتَّقُوا اللَّـهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

(١) حديث نبوي شريف، أخرجه البخاري برواية عبدالله بن مسعود.

(٢) سورة التغابن: آية ١٦.

- الثاني: ربما لا يحالف التوفيق في بعض الأحيان الأزهر الشريف لظروف متنوعة ومتعددة، والأزهر الشريف في ذلك مثله مثل غيره من لدن الرسول ﷺ وصحابته الذين (صدقوا ما عاهدوا الله عليه[1]ـوذلك على نحو ما كان منهم ورسول الله ﷺ في غزوة "أحد" وكذا في غزوة "حنين" فرغم ما تقرر من مخالفة وعدم التزام فإنه لم يُغضَ عما بُذِل، بل ذُكِرتْ الموقعتان على أنها غزوتان، ولذا فليس من الواقعية أن يتم تصوير الأزهر الشريف "بذلك الخلق المسيخ الذي وقف موقفًا يُندِي الجبين"؛ حيث يظل موقف الأزهر الشريف في كل حال هو الموقف الشريف، إذ يتلقى برحابة صدر مثل هذه المعالجة المقالية المقدَّرة بالعكوف على دراستها وغيرها دراسة علمية وأدبية جادة بصورة موضوعية وفنية، حيث يتم وضع كل كلمة في موضعها، وكل فكرة في نصابها تقديرًا وتقييمًا وتقويمًا من أجل أن تستمر مسيرته الوسطية الشريفة تؤدي رسالته الخالدة خير أداء ..

٧ـ **علماء الأزهر قديمًا وحديثًا بين التسامي والتداني:** على سبيل المزيد من الإلحاح على الفكرة يعاود الزيات حديثه عن شيوخ الأزهر لفئة منهم من حلال عقد موازنة (صارخة) بين حالهم حدينًا، وحالهم قديمًا، حيث تناولهم من خلال صورتين متجاورتين:

- صورة لبعض زعمائه حديثًا قد اهتموا فيها بالمظاهر والماديات، وهذا يعني أن ما عدا ذلك من اهتمامات لديهم يأتي في مرتبة تالية وأخيرة!

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

– وصورة شيوخه السالفين قد كانت المظاهر والماديات بالنسبة لهم شيئًا ثانويًّا يكتفون منه بالحد الأدنى، إذ إن اهتماماتهم الفقهية والعلمية والأدبية لا حدود لها، ولا تعلو عليها اهتمامات..

يقول الزيات[١]: "تقلب بعض زعمائه على فرش الديباج، وخبوا في أفواف الشاهي، وتأنقوا في ألوان الطعام، وتنبلوا بالمظاهر الفخمة، وسردوا أعداد الدنانير على المسابح العِطرة.

وكان أسلافهم طيب الله ثراهم كما طيب ذِكراهم يتسترون بمرقعات القطن، ويتبلغون بقشور البطيخ، ويستروحون النسيم على شرفات المآذن".

لقد جاءت الصورتان السالفتان كاشفتين راصدتين محملتين بدلالات وأبعاد في غاية الأهمية، حيث كشفتا عن شاسع البون وواسع الفرق بين حال بعض الشيوخ حديثًا، وحال الشيوخ والعلماء قديمًا، كما رصدتا الأسباب التي أدت إلى ذلك متمثلة في:

– الافتتان بنعيم الدنيا ومتاعها..

– الاهتمام بالظاهر على حساب الجوهر والمضمون..

– تأثير العامل المادي ...

والصورة المتسامية المستقيمة المعالم التي قدمها الزيات لشيوخ الأزهر السالفين تجعل الصورة الأخرى تبدو مقلوبة أو منقلبة على أثرها وسلفها الصالح، حيث تسير الأمور لدى أصحابها في غير مسارها المستقيم.

وعلى قلب تلك الصورة لفئة قليلة ممن انحرفوا عن جادة أسلافهم القانعين المخلصين راح الزيات يمعن في نقدهم، حيث تناولهم في صورة تالية متألِّية، على نحو ما يتمثل في قوله[٢]: " ثم شايعوا أهواء الناس،

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

وصانعوا أهل النفوذ، وجَرَوا في تمكين أمورهم وترفيه نفوسهم على الضراعة والملق؛ من أجل ذلك فقدوا خطرهم في الخاصة، وأثرهم في العامة، وجروا معهم كرامة الدين إلى هذا المنحدر".

إن الصورة – على قلبها وتدانيها – جاءت ناطقة بما كان من خلل جلل من خلال أسلوب منطقي دقيق يعتمد على مقدمات ترصد الأحداث، وتكشف العلل، وتبلغ بيان تبعات ذلك الانحراف لدى تلك الفئة التي راحت تتابع الأهواء، وتهوى في مهاوي التذلف والتملق لغيبة الشعور بما يحملونه من مسؤولية جليلة وجسيمة..

وحين غابت المسؤولية لديهم غابت مكانتهم لدى غيرهم بصورة مذرية؛ إذ إن غيبة مكانتهم انتقلت تبعات عدواها إلى الدين ذاته لدى غيرهم، حيث فقد مقادير جليلة من تأثيره لطبيعتهم المتغيرة دون تغير طبيعته الثابتة، وحقيقته الخالدة.

٨_الأزهر قادر على النهوض ومواصلة رسالته الخالدة: إذا سلمت المقدمات سلمت النتائج، تلك المقدمات التي جاءت مجلجلة من أجل اليقظة،

وكذا جاءت كاشفة من أجل الإضاءة، كما جاءت متوازنة في معالجة ترجو السلامة والقوة ومواصلة الريادة لذلك الصرح الشريف، وهذا ما يؤكد حسن النية لدى الكاتب، حيث جاءت خاتمة مقاله تحمل تطمينًا وتأكيدًا بأن الأزهر لا يزال يذخر بالشيوخ والعلماء الأعلام الذين يُفزَع إليهم في كل ملمة دون أن يعوق مسيرته الخالدة عائق في مثل تلك الحال أو غيرها..

يقول الزيات[١]:" إن في بقية السلف من أعلام الأزهر مَفْزعاً من هذه الحال الأليمة".

ولما كانت النتائج لا يسلَّم بها إلا إذا تمتعت بالصدق، وتحلَّى أهلها بالإخلاص، فإن الكاتب يبدو أمينًا في تطمينه، خبيرًا في رؤيته التي تدل على معايشته الدقيقة أحوال الأزهر الشريف، وكيفية إدارة الأمور كي يظل موئلًا للفقه والعلم والثقافة والأدب، ومقصدًا للطلاب الذين يفدون إليه من كل الأنحاء، على نحو ما يوجِّه إليه توجيهًا حكيمًا أمينًا، إذ يقول[٢]:

" فليعملوا لرد هذا المعهد الكريم إلى نظامه، فان شديداً على النفس أن يضطرب فيه الأمر ويشرى به الفساد حتى تطرد طلابه، وتغلق أبوابه".

٩_الأزهر الشريف في وعي الأجانب هو صوت الإسلام المدوى:

صورة الأزهر المضيئة القوية من داخله كما يراها الزيات بعينه الجميلة، يراها كذلك بعينه الأخرى الجليلة كذلك مضيئة مدوية في وعي الأجانب بتاريخ الأزهر ورسالته في ماضيه وحاضره من خلال مقال لأحد كتابهم عن الأزهر في مجلة فرنسية على نحو ما يذكر الزيات في مقاله[٣]:

" لقد قرأت بالأمس فصلًا عن الإسلام في مجلة شهرية فرنسية يقول كاتبه فيه: (لقد انحسر الإسلام عن بلاده أو كاد، فلم يبق داوياً متوثباً إلا في الأزهر)".

ولما كانت الحكمة تقرر أن الحق ما شهدت به الأجانب لا الأقارب، فإن الزيات يتساءل متأسفًا: كيف تكون الشهادة لدى الأجانب إذا ما تبين لهم أن الأزهر لم يعد كما كانوا يعرفون عنه ...؟!

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

يقول الزيات[١]: " فماذا عسى أن يقول هذا المأفون إذا قيل له غداً إن هذا الدوي قد سكن، وهذا التوثب قد قر؟".

لقد جاءت الجملة الاستفهامية السابقة – على ما اشتملت عليه من سكون – مجلجلة من جديد لكل من كان لديه إحساس بالمسؤولية أو وازع من ضمير من أهل الأزهر أن يظلوا على قدر المسؤولية جيلًا بعد جيل ..

١٠ـ رسالة الأزهر الشريف أمانة في أعناق أهله وأهل المسؤولية جميعًا: ظل الزيات حتى النزع الأخير من مقاله يقرر أن معالجة أحوال الأزهر تبدأ من داخله؛ إذ إن الأزهر علماء وطلابًا، ولا سيما المخلصين منهم هم الأقدر على معالجة أحواله مستخدمًا في ذلك اسم التفضيل بدلالاته على التفوق في المعالجة تلك التي إن أُهمِلت فسوف تكون التبعات أكبر وأخطر لدرجة تبلغ حد الكارثة على حد قول الزيات[٢]:

" لا جرم أن المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه أقدر على درء هذه الكارثة متى أنضجوا الرأي وأجمعوا الكلمة".

وكعادته في حرصه واحتراسه، إذ يقرر أمرًا ما، فقد اشترط الزيات لنجاعة المعالجة من حلال رؤية حقيقية شرطين:

- أولهما: يتحقق بدراسة اهل الأزهر تلك الأحوال وتمحيصها، والتوصل إلى آراء ورؤى حكيمة وسديدة؛ إذ إن معرفة أسباب التراجع نصف الطريق إلى التقدم.
- وثانيهما: يتحقق بِنَبْذ الاختلافات في التوجهات وما ينتج من منازعات والعمل على الاجتماع على كلمة سواء، عملًا بقول الله تعالى[٣]: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ).

---

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) سورة: الأنفال، آية٤٦.

وفي سبيل معالجة تلك الأحوال فقد جعل الزيات يعتمد على دعامة وأساس عظيم متمثل في الحكومة القائمة، وهذه رؤية واقعية لما تتحمله الحكومة من مسؤولية؛ إذ إنها في النهاية هي من يملك زمام الأمور، وفي استطاعتها معالجة كثير من الأحداث دون أن يحدث ما لا تحمد عقباه، على نحو ما يقول(١):

" والحكومة القائمة أربأ بعهدها عن هذا الحدث، وأضنُّ بتاريخها على هذه الصفحة".

ومثلما كان المقال مقرِّرًا في مفتتحه دور الأزهر وجلال رسالته التي تجاوزت حدود الإقليمية على مدى التاريخ، حيث كان " سنة واضحة ... استقام الناس بها منذ ألف عام(٢)

". جاءت كذلك خاتمة المقال جامعة رائعة بصورة تترجم مدى إخلاص الكاتب لهذا الكيان العظيم، ورغبته الصادقة في الحفاظ عليه قوى الأركان، شامخًا على مر الزمان، منارة لكل الناس، دون أن يتوقف الكاتب في معالجة أحوال الأزهر عند حدود أهله وأهل المسؤولية؛ فالأزهر ليس للأزهرين فحسب، بل هو للأزهريين ولكل المصريين، وهو خير وهداية للناس أجمعين، ولذا فهو أمانة في أعناق كل المصرين وغيرهم طالما كان حمي للقرآن الكريم ولغته العربية المصطفاة، وحمى للفقه والعلم وأدب الدنيا والدين ..

يقول الزيات مختتمًا مقاله عن الأزهر بين الماضي والحاضر(٣): "وليس في مصر ولا في غير مصر ضمير نزه يرضيه أن تعبث الشهوات الرعن بهذا المعقل الديني الذي عصم القرآن ولغته وعلومه من طغيان الأحداث والفتن عشرة قرون".

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

الفصل الثاني

مقال "الأزهر بين الماضي والحاضر" دراسة فنية

المبحث الأول: البناء الفني:

يبدو البناء الفني في إنشاء فن المقال بصفة عامة متكاملًا من خلال ثلاثة أجزاء أساسية مترابطة متآلفة تمثل في مقدمة وموضوع وخامة.

وعلى هذا يمكن تحليل البناء الفني لمقال الزيات على النحو الآتي:

أولاً: المقدمة:

تحلت مقدمة المقال– على وجازتها الشديدة – باشتمالها على عدة أمور عملت على ادائها الدور الافتتاحي بصورة مثيرة كل الإثارة تمثلت فيما يأتي:

١– التنبيه والإثارة:

بدت مقدمة المقال منذ أول كلمة في غاية الإثارة في قوله:(ويل) تلك التي يحمل مدلولها اللغوي فضلًا عن تنكيرها ألوانًا من الشر والخزي والعذاب، وهي كلمة لا تحمل تنبيهًا بقدر ما تمثله من كونها قرعًا لأجراس مجلجلة يدقها الكاتب من حلال مفردات مقاله وسهام نقده (لأهل الأزهر) لما آل إليه حاله عن ذي قبل، وإنما كان ذلك لما يحملونه من مسؤولية هم لها أهل.

وإنما كانت المقدمة بهده الإثارة الصارخة لكون الألم نابعًا من الداخل، ومن القلب الذي إذا فسد أدى إلى فساد بقية الكيان، كما أنه إذا صلح أدى إلى صلاح باقي الكيان..

على أن الإصلاح ليس من أجل كيان عاديٍّ، وإنما من أجل كيان يعمل على إصلاح وأمان وسلام وخير كل كيان.

٢– إقرار الحقائق التي تتعلق بأهم القضايا:

إقرار الحقائق التي تتعلق بقضايا الواقع من بداية استهلال المقال يولد في نفس المتلقي مقادير من الاهتمام وتقدير الطرح الذي يطرحه الكاتب،

وقد تجلى ذلك من خلال اعتماده على الأسلوب الخبري بما يحمله في لفظه من معانٍ تقريرية مؤلمة كما في قوله[١]: "ويل للأزهر من أهله" وبما يحمله كذلك بإنشائه من معانٍ تنضح مرارة وأسفًا..

وصحيح أن براعة الكاتب لا تحتاج شهادة منى، غير أن استهلاله – مع الاعتذار لأهل البلاغة – لا يتسم بالبراعة قدر ما يتسم به من جلجلة وإثارة تعمل على تحقيق الغاية بدق نواقيس التنبيه والتحذير من وخامة العواقب إذا تعاضلت السلبيات دون معالجـــة..

٣- الإيجـــــاز:

ما أجلَّ قول أهل البلاغة: " البلاغة الإيجاز" وذلك لما يتحلى به المقال من إيجاز يدلف من خلاله إلى بلوغ الغاية من أقصر طريق دون إملال أو إخلال، وقد تمثل ذلك في مقدمة المقال خير تمثيل في قوله[٢]: "ويل للأزهر من أهله" حيث تخلى الكاتب عن إطناب في غير محله ومجاله، أو فضول يصرف المتلقي عن أهمية الموضوع وجلاله.

ومهما يكن من أهمية لمقدمة المقال فإنها لم تستغرق سوى جملة واحدة، ذلك أن أهميتها ليست أهم من الموضوع ذاته، ولذا طفق الزيات يَجِدُّ كل الجد في الولوج إلى رحابه..

ثانيًا: عرض موضوع المقال:

يعد الموضوع في بناء المقال من الأهمية بمكان، إذ إنه الأساس الذي يقوم عليه البناء بكل ما يشتمل عليه من مضامين، وما يحمله من أفكار، وما يرمى الكاتب إلى بلوغه وتحقيقه من غايات وأهداف. وقد اتسم موضوع المقال بسمات عديدة على النحو الآتي:

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

١_الوحدة الموضوعية:

تَحلَّى مقال الزيات بصفة عامة بوحدة موضوعية جلية حافظ عليها من أول جملة في

مفتتحه إلى آخر جملة في خاتمته متسلحًا في ذلك بشخصيته ذات الميراث الأدبي والثقافي الثري الجامع بين أصالة التراث وحداثة الثقافة الوافدة مما منحه ألوانًا من المنطق والفكر المنظم الذي جاء في عرض مصطبغ برصانة الأسلوب، وبلاغة العرض، وحماسة العاطفة، وقوة التأثير.

٢- التسلسل الفكري:

فكرة المقال الأساسية واضحة جلية عما لحق بالأزهر الشريف وألمَّ به من هنات وسلبيات لدى أهله من ذوي المسؤولية إبان إنشاء المقال على نحو ما صرحت به مقدمته بصورة صارخة ومدوية، ولكي يجلى الكاتب فكرته فقد طفق في بداية الموضوع يقدم للمتلقي مقارنة تاريخية بين حال الأزهر في ماضيه المشرق بمنعة الدين وجلال العلم، وقوة الشخصية واستقلالها بمنأى عن الأهواء، والتمتع بالوسطية التي يحملها عن الإسلام الحنيف لكل العالمين، وقد جمع الزيات في هذه المقارنة بين الحال السابقة وبين حاله في حاضره الذي غلبت عليه الدنيا وزخرفها، فبدأ يتخلف عن ركب العلم والتقدم، وتقالَّت شخصيته المستقلة، واعتلَّت وسطيته في وجهتها التي كانت تدعو إلى الله على بصيرة وسنة متبعة، على نحو ما جاء في الفقرة الأولى من موضوع المقال بأن الأزهر "كان منيعاً بالدين فابتذلوه بالدنيا، وعزيزاً بالعلم فأذلوه بالمال، ومستقلاً في حمى الله فأخضعوه لهوى الحكم! وكان سُنة واضحة....، ثم وقفوا لدى المفترق المبهم...."[١].

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

وإثباتًا لحسن النية في الرؤية والوجهة النقدية فقد جاءت الفقرة الثانية بفكرة تطمينية وتوكيدية لوجه المقارنة الإيجابي بتقرير ما للأزهر الشريف من قداسة وجلال، وما يقوم به من دور تاريخي جليل من حمل أمانة دعوة الإسلام ورسالته، ولذا فإن رحابه حرم، وحمي للقرآن الكريم ولغته وتعاليمه بفضل علمائه المخلصين الذين تتواضع أمام منزلتهم كل منزلة؛ إذ إنهم دعاة الله ووراث النبوة على نحو ما يقول الزيات(١):

"كان للأزهر، على عهدنا القريب، جلالة تغشى العيون، وقداسة تملأ الصدور، لأنه المعقل الوحيد الذي ثبت لحملات الغيرَ....، وكان لعلمائه مكانة في القلوب، ومهابة....".

وكما تحدث الزيات عن علماء الأزهر ومنزلتهم في الفكرة السابقة فقد تحدث في فكرة تالية عن طلابه وعكوفهم على تلقِّى العلوم والآداب في رحابه، ثم نقلهم العلم إلى أقاليمهم على نحو ما عبر عنه في الفقرة الثالثة بقوله(٢): "وكان لطلابه كلف به لا يُتهَم، وثقة برجاله لا تحد، وانقطاع إلى جواره لا يبغون من ورائه غير فقه الدين وتحصيل ....".

وبعد أن تحدث الزيات عن علماء الأزهر الشريف وطلابه كان طبيعيًا أن ينتقل في فكرة تالية إلى الحديث عن علاقتهم بالحكام والمحكومين في صورة جليلة حكيمة تصطبغ حينًا بصبغة رسمية، وحينًا بصبغة جمعت لهم بين تجلة اهل الحكم والقضاء، ووقار أهل العلم، وروحانية أهل الفقه والدين الذين هم خير ملاذ على نحو ما يقول في الفقرتين الرابعة والخامسة(٣):

---

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

"كانت صلة العلماء بالحكومة صلة دينية، تقوم على حسم المشاكل بالقضاء، وحل المسائل بالفتوى؛ وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية....، فكانوا لذلك موضع الاجلال أني حلوا... ".

وفي سبيل توكيد فكرته التطمينية للعلماء بوصفهم المسؤول الأول أو المباشر عما حدث قام الزيات بتقديمهم في عدة صور: بعضها له جلال السلطان، وبعضها يفوح منه أريج النبوة، وبعضها في حلقات العلم كيف تبدأ؟ وكيف تدار؟ وكيف تنتهي؟ وذلك على نحو ما صوره في الفقرتين: الخامسة والسادسة، كما في قوله(١):

" كنا نرى العالم اذا نزل مدينة أو قرية كان يوم نزوله تاريخاً لا يُنسى: يأخذ الناس فيها حال من الشعور...، فيهرعون إليه كما يهرعون اليوم إلى زعيم الأمة أو إلى رئيس الحكومة"

وكما في قوله(٢): "فيتوسمون في أساريره نور الرسالة، ويتنسمون من أعطافه أريج النبوة..".

وكذا كما في قوله(٣): "وطلاب الأزهر القديم...كانوا يتحلقون حول كرسي الشيخ.... حتى اذا ما أقبل خشعت الأصوات وسكنت الحركات... فإذا انقضى الدرس وقال الشيخ: (والله أعلم) تضامت أطراف الحلقة عليه، وأنحى الطلاب بالقبل على يديه وردنيه، فما يشق طريقه بينهم إلا بعد لأي".

ولا ينهي الزيات الفقرة السادسة حتى يعود مُلِحًّا على فكرته الرئيسة من خلال دعوته المتلقي إلى أن يتدبر الأمر عاقدًا مقارنة جديدة بين حال

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م

الأزهر بعلمائه وطلابه قديمًا، وبين حاله جديدًا مرجِّحًا حاله قديمًا على نحو ما قرره قائلًا[١]:

" تدبر ذلك في نفسك على إجماله وعمومه، ثم اقرنه إلى ما تسمع اليوم أو تقرأ من خبر الأزهر وحال علمائه وأبنائه، فهل تجد المعهد هو المعهد؟ والناس هم الناس؟

إن الأزهر البائد على فوضاه المنظمة كل أجدى على الدين وأعْوَد على الثقافة ....".

على أن التقرير الذي انتهي إليه الزيات في الفقرة السادسة قد أتبعه ببيان الأسباب التي أدت إلى ذلك في الفقرتين: السابعة والثامنة معتمدًا في ذلك على الأسلوب المنطقي ذي المقدمات التي تفضي إلى نتائج، حيث جاءت النتائج أليمة أسيفة كما في قوله[٢]:

" ثم شايعوا أهواء الناس، وصانعوا أهل النفوذ، وجَرَوا في تمكين أمورهم وترفيه نفوسهم على الضراعة والملق؛ من أجل ذلك فقدوا خطرهم.... وجروا معهم كرامة الدين إلى هذا المنحدر".

ثم تَوَّج الزيات مقاله بفكرة إيجابية في خاتمته في فقراته الثلاثة الأخيرة، حيث جاءت باعثة على الأمل حاثة ودافعة إلى تقدير المسؤولية التي يحملها العلماء والطلاب وجميع أهل المسؤولية والدين.

يقول الزيات[٣]: " إن في بقية السلف من أعلام الأزهر مَفْزعاً من هذه الحال الأليمة....

لا جرم أن المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه أقدر على درء هذه الكارثة متى أنضجوا الرأي وأجمعوا الكلمة.

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

والحكومة القائمة أربأ بعهدها عن هذا الحدث، وأضنُّ بتاريخها على هذه الصفحة؛ وليس في مصر ولا في غير مصر ضمير نزه يرضيه أن تعبث الشهوات الرعن بهذا المعقل الديني الذي عصم القرآن ولغته وعلومه من طغيان الأحداث والفتن عشرة قرون".

٣- توظيف الأسلوب:

تبدو المقارنة التي أجراها الزيات من بداية مقاله كاشفة عن قدرته على زنة الأمور، وقوة شخصيته في إبداء رأيه الذي لم يرسله على عواهنه، وإنما هو يقرره ويسعى إلى تأكيده وتعليله بواقعية تاريخية لا ينكرها إلا مكابر لن تفيده مكابرته شيئًا، كما أنها له تضر الأزهر في شئ، على نحو ما يتمثل في قوله[١]: "كان للأزهر، على عهدنا القريب، جلالة تغشى العيون، وقداسة تملأ الصدور، لأنه المعقل الوحيد الذي ثبت لحملات الغيرَ".

حيث يقرر عن طريق الأسلوب الخبري ما للأزهر من جلالة وقداسة، وهو يؤكد ذلك من خلال أسلوب القصر عن طريق التقديم، ثم هو يعلل لذلك بوضوح لا مواربة فيه بالنص على أنه المعقل الوحيد الذي ثبت لمواجهة حملات الاعتداء على مر التاريخ.

والزيات في توظيفه للأسلوب لا يكتفي بمجرد التقرير والتوكيد ثم التعليل، بل هو

يضيف إلى ذلك تفصيلًا لما كان قد أجمله، حيث يعمل ذلك على أن يزداد الأمر إيضاحًا وجلاء، ويبلغ به حد التطمين، إذ يقع ذلك في نفس المتلقي أفضل موقع، على نحو ما قام بتفصيله، إذ يقول[٢]: " ... فانتهت

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

إليه أمانة الرسول، واستقرت به وديعة السلف، واستعصمت فيه لغة القرآن، واستأمنت إليه آداب العرب... ".

والحديث عن الأسلوب سيأتي تفصيلًا في موضعه، غير أن اللافت لنظر المتلقي ووعيه في عرض موضوع المقال هو صفاء الأسلوب ونقاؤه من أي شائبة تشوبه فضلًا عن إيجازه وبلاغته، وحكمته وسداده، على نحو ما نجد في قوله(١):

" فأرضه حَرم لا يُنتهك، وأهله حمى لا يستباح، وأمره قَدرٌ لا يُرد.

وكان لعلمائه مكانة....

لأنهم دعاة الله، ووراث النبي، وهداة المحجة.

ينطق على ألسنتهم الكتاب، وتتمثل في أفعالهم السنة.

فمحبتهم عقيدة، وطاعتهم فريضة، وإشارتهم نافذة"

ثالثًا: خاتمة المقال:

تعد الخاتمة في بناء المقال من الأهمية بمكان؛ ذلك أنها آخر ما يبقى لدى المتلقي في الذهن والوجدان من المقال، حيث تشتمل على خلاصة الموضوع وزبدته. والخاتمة شأنها في المقال شأن كل عمل يكون له " انتهاء" على نحو ما يذكر قدامي النقاد بأن من لوازمه " أن يكون محكمًا لا يمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه(٢)"

وقد اتسمت خاتمة مقال الزيات بعدة سمات عملت على أن تبدو خاتمته نموذجًا يحتذي،

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري وهدى عودة، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٦هـ، جـ١، ص ٣٥٥.

بقدر ما اشتملت عليه من عوامل عملت على تحقيق ذلك على النحو الآتي:

١- الإيجاز والتركيز:

جاءت خاتمة المقال في مستهل إطلالتها كالشمس في إشراقها تعلن بوضوح وتأكيد أن في بقية السلف من أعلام الأزهر مفزعًا لرأب الصدوع، وسد الثغور، وتقويم الأمور..

وقد اقترن هذا الوضوح بقدر من الإيجاز الجليل والتركيز على العمل النبيل الذي يضع الشيء في نصابه، ويعيد إلى هذا الصرح المهيب نظامه ملخِّصًا ذلك بإخلاص في جملة واحدة، حيث يقول (١): " فليعملوا مخلصين لرد هذا المعهد الكريم إلى نظامه".

ومثلما جاءت إطلالة مقدمة المقال جلية واضحة في وضع حلقة المسؤولية في أعناق أهل الأزهر السادة العلماء، كانت نهاية خاتمته جامعة رائعة، حيث وضعت كذلك باقي حلقات المسؤولية في أعناق الطلاب حمال الراية جيلًا بعد جيل، وكذا في أعناق أهل المسؤولية من الحكومة المسؤولة عن كل صغيرة وكبيرة، وأعناق المسلمين جميعًا في مصر وغيرها ممن يظل الأزهر الشريف لهم على مر التاريخ حمي وحماية، عقيدة ولغة، وأدبًا وثقافة خالدة، وهوية قيمة.

٢-حسن التعليل والاستدلال:

اختيار المرء دليل عقله، بل قطعة من عقله، كما أن معرفة السبب- كما يقال - تبطل العجب، وكذا فإن الخواتيم إذا لم تكن مثمرة وذات نتائج قيمة، كانت المقدمات جهدًا مهدرًا، كما أن النتائج إذا لم تتحلَّ بالإقناع، لم تكن لتحظى بالقبول، والقبول لا بد أن يتحلى بحسن التعليل والاستدلال ..

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

_ وهكذا جاءت خاتمة المقال مجللة في جانب منها بشهادة أجنبية من خلال ما أورده الزيات مما يدل على سعة ثقافته، ويقوِّي استنتاجه، ويؤكد ما يتغياه، على نحو ما أثبته في خاتمة مقاله، إذ يقول(١): " لقد قرأت بالأمس فصلًا عن الإسلام في مجلة شهرية فرنسية يقول كاتبه فيه: (لقد انحسر الإسلام عن بلاده أو كاد، فلم يبق داوياً متوثباً إلا في الزهر)".

_ وقد جاءت خاتمة المقال كذلك مجللة في جانب آخر منها بحسن التعليل الذي جاء ممتزجًا بأسلوب الحكيم اللطيف الذي تتقبله كل الأطياف على مختلف المستويات الرسمية وغيرها، في مصر وغيرها على نحو ما يتجلى في قوله(٢):

" لا جرم أن المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه أقدر على درء هذه الكارثة متى أنضجوا الرأي وأجمعوا الكلمة.

والحكومة القائمة أربأ بعهدها عن هذا الحدث، وأضنُّ بتاريخها على هذه الصفحة.

وليس في مصر ولا في غير مصر ضمير نزيه يرضيه أن تعبث الشهوات الرعن بهذا المعقل الديني الذي عصم القرآن ولغته وعلومه من طغيان الأحداث والفتن عشرة قرون".

لقد جاءت خاتمة المقال في مجملها نموذجًا مثاليًّا لخواتيم المقالات في كونها جامعة بين الإيجاز والوضوح، وسعة الرؤية، وسداد الرأي، وقوة الشخصية وحكمتها، ودقة النتائج الجامعة بين الإقناع والقبول، وحسن الاستدلال والتعليل..

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

المبحث الثاني: اللغة والأساليب:

تنهض المقالات في إنشائها بصفة عامة على ثقافة المقاليِّ، ومدى ما لديه من زاد فكري ومعرفي، وما يتمتع به من ذخيرة لغوية من خلال مهاراته وقدراته وخبراته على مستوى المفردات والأساليب، وحسن توظيفها في معالجة موضوعاته، وإيصال أفكاره، وتحقيق أهدافه. ويمكن تناول ذلك في مقال الزيات على النحو الآتي:

•• الألفاظ والمعاني:

بدت ألفاظ مقال الزيات بصفة عامة واضحة منتخبة انتخابًا ينم عن فصاحة وحصافة لغوية تنأى بجزالتها عن حدود التوعُّر المنفِّر، والتقعُّر المتكلَّف، ورغم أهمية الموضوع وجلاله وشيوع الجزالة التي تناسبه على مستوى الألفاظ فإن جزالة تلك الألفاظ بدت تتمتع بأنها جزالة مختارة على حد قول "أبي هلال العسكري"(١): " وأما الجزل والمختار من الكلام، فهو الذي تعرفه العامة إذا سمعته، ولا تستعمله في محاوراتها".

_ ومن أمثلة المفردات ذات السمة الجزلة:

" منيعا، عزيزا، مستقلا، شبهوا، لبَّثوا، المحجة، نافذة، حسم، غل الجوانح، يرعون، التجلة، عراك، صخب، عقد، أنكى، شقاء، تضامت، جرُّوا، مفزعا، شديدا، مدويا، متوثبا، درء الكارثة، أنضجوا، تعبث الشهوات الرعن، طغيان الأحداث".

• وألفاظ المقال على ما تتسم به من جزالة وقوة فهي تتمتع كذلك بالوضوح والجلاء والطواعية في الأداء بما يتناسب مع طبيعة الموضوع، وتقتضيها فكرته الأساسية وأفكاره الفرعية على نحو ما يتمثل في المفردات التالية:

---

(١) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٧١م، ص ١٦١.

_ في قوله[١]: "شبَّهوا وجوهها... ولبَّسوا صورها..."

فإن مفردة "شبهوا" تدل على مرحلة شاع فيها التقليد غير المقبول لفجاجته ولجاجته، كما أن مفردة لبسوا تدل على أن التقليد بلغ حد التقليد الأعمى..

_ وفي قوله[٢]: " المعقل الوحيد الذي ثبت لحملات الغير..."

تبدو مفردة "الوحيد" تدل على التفرد والتميز، ومفردة "ثبت" تدل على الصمود والأصالة والقوة والبقاء، ومفردة "حملات" تدل بطبيعتها الجمعية على تعددها، وثباته في مواجهتها على تعددها يعني أنه أقوى منها ومن غيرها؛ لأنها تمثل الاعتداء والباطل والشر، في حين يظل الأزهر الشريف يمثل الحق والخير، والحق خير وأقوى وأبقى..

_ وفي قوله[٣]: " يجلون صدأ..، ويكفكفون سفه..، ويشفون غل...".

فالأفعال في العبارة السابقة تدل ببنيتها الجذرية على قوة أثرها وتأثيرها، إذ هي تزيل الصدأ، وتهدهد السفه، وتذهب أثر الغل، كما أنها بصيغتها المضارعة تدل على تجدد التأثير واستمرارية فعاليته..

وكثيرًا ما كان الزيات يستخدم في مفرداته الأفعال في صورتها الماضية للدلالة على ثبوت وقوع الحدث، وتحققه وتوكيده، على نحو ما تمثل في قوله [٤]:

" كان منيعًا بالدين...، كان للأزهر على عهدنا القريب جلالة...، وكان لعلمائه مكانة في القلوب...، وكان لطلابه كلف به...، كانت صلة العلماء بالحكومة دينية...، وكانت صلتهم بالأمة روحية...".

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

على أن الزيات كذلك كثيرًا ما كان يتبع الأفعال الماضية بأخرى مضارعة تدل على التجدد والاستمرارية التي تؤكد أن ممارسات علماء الأزهر الشريف وطلابه في أقوالهم وأفعالهم في تعلمهم وتعليمهم تعد مبادئ راسخة قائمة دائمة على نحو ما يتمثل في قوله[١]: "ينطق بألسنتهم الكتاب، وتتمثل في أفعالهم السنة... لا يبغون من ورائه غير فقة الدين وتحصيل المعرفة".

وما أجلَّ وأدقَّ ما حثَّ الزيات عليه من أجل الحفاظ على الأزهر حصنًا منيعًا للإسلام ولغته وعلومه وأهله متمثلًا في العمل الذي أراد له أن يكون بصيغة المضارع بعطاءاته وثرائه وحيويته وديمومته على نحو ما يتمثل في: "ينطق، تتمثل، لا يبغون...".

وما أجلَّ وأجمل ما اشترطه للحفاظ على الأزهر الشريف كذلك من خلال استخدامه أسلوب الشرط الحاسم والجازم في قوله[٢]: " لا جرم أن المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه أقدر على درء هذه الكارثة متى أنضجوا الرأي وأجمعوا الكلمة" حيث استخدم الزيات الفعليين الماضيين: "انضجوا، وأجمعوا" لا بمعناهما الماضي المباشر، وإنما بمعنى المضارع بدلالاته الاستمرارية المتجددة، أي بشرط أن ينضجوا.... ويجمعوا....

على أن في إيثاره الماضي ما قد يدل على ثقته في إنضاجهم الرأي، وإجماعهم الكلمة.

وقد أحسن الزيات توظيف المفردات الدالة على الجمع من بداية المقال إلى نهايته..

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

_ ومن ذلك قوله[١]: "ويل للأزهر من أهله" حيث جاءت كلمه" أهله" شاملة كل منسوبي الأزهر في مسؤوليتهم جميعًا عما لحق بالأزهر الشريف ..

_ ومن ذلك أيضا استخدامه واو الجماعة كما في قوله[٢]: " ابتذلوه، أذلوه، أخضعوه..." حيث يشير ذلك إلى مسؤولية الجميع عما حدث، كما يدل على ممارسة جموع منهم بعض الأمور الدخيلة في مثل قوله[٣]: " فشهوا...، ولبَّسوا..." كما يدل على تجشمهم جميعًا تبعات الممارسة والمسؤولية على نحو ما تمثل في قوله[٤]: "ثم وقفوا...يديرون أعينهم في الفضاء، ويردونها من الأمام إلى الوراء، فلا يرون أقدامهم على أثر، ولا يجدون وجوههم على سبيل!".

فقد جاءت الأفعال في الأمثلة السابقة ماضية ومضارعة متصلة بضمير الجمع فضلًا عن استخدامه جموع التكسير في مثل" أعينهم، وأقدامهم، ووجوههم".

ومثلما أحسن الزيات منذ بداية مقاله توظيف المفردات الدالة على الجمع في الكشف عن مسؤولية منسوبي الأزهر الشريف جميعًا عما لحق به، فقد أحسن كذلك توظيف مثل تلك المفردات في خاتمة المقال، حيث أكد أن مسؤولية النهوض لا ينهض بها مجرد عالم واحد، وإنما ينهض بها " بقية السلف من أعلام الأزهر" كما أكد أن " المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه أقدر...." وكذا أكد أن السلطة مسؤولة، لا من خلال مجرد حاكم بعينه، وإنما من خلال الحكومة بأسرها..

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

• **الأساليب وتنوعها:**

للأسلوب في فن المقال على تنوعه من الأهمية وقوة التأثير في المتلقي ما يقتضي من الكاتب أن يراعي في صياغة أسلوبه ما يناسب عمله المقالي من مقدمته إلى خاتمته "حيث يتخذه الأديب وسيلة للإقناع[١]".

وقد احتشد مقال الزيات عن الأزهر بين الماضي والحاضر بطوائف من الأساليب الخبرية والإنشائية، وغيرها من الأساليب التي زخر بها المقال.

على أن الأسلوب الخيري كان ذا هيمنة قد تبدو مناسبة لما تقتضيه طبيعة المقال وما يرنو إليه الكاتب، ويريد أن يقرره في وعي المتلقي بوضوح على مستوى الماضي المحقَّق، والواقع الموثَّق من أجل المستقبل الذي يؤمن بأن تظل رايات الأزهر فيه شاهقة تضئ في كل جوانبه، وتخفق على قممه وأركانه..

_ ومن أمثلة الأساليب الخبرية التقريرية قوله[٢]:

" كان منيعًا بالدين...، وكان سُنة واضحة...، كان للأزهر، على عهدنا القريب جلالة...، وكان لعلمائه مكانة...، وكان لطلابه كلف به...، كانت صلة العلماء بالحكومة صلة دينية...، وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية...".

لقد جاءت الأساليب الخبرية السابقة مقرِّرة استقامة دور الأزهر في الماضي، وتغيُّره عن تلك الاستقامة في الواقع إبان إنشاء المقال.

_ ومن أمثلة ذلك مما جاء فيه الأسلوب الخبري ممتزجًا بألوان من التقرير والتوكيد، والتفصيل قول الزيات[٣]:

---

(١) أحمد الشايب: الأسلوب. دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية، مكتبة النهضة المصرية١٩٩١م، ص ٤١.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

"إن الأزهر البائد على فوضاه المنظمة كل أجدى على الدين وأعْوَد على الثقافة من هذا الخَلْق المسيخ الذي وقف بين الماضي والحاضر، وبين الدين والسياسة، موقفاً يُندى الجبين الصُّلب، ويوجع الفؤاد المُصْمت!".

وإنما كان ذلك التفضيل في قوله: "أجدى على الدين وأعْوَد على الثقافة" نتيجة لما قرره الزيات من أخبار واقعة على النحو الذي سرده في قوله(١):

" تقلب بعض زعمائه على فرش الديباج، وخبوا في أفواف الشاهي، وتأنقوا في ألوان الطعام، وتتبلوا بالمظاهر الفخمة، وسردوا أعداد الدنانير على المسابح العِطرة".

_ ومن امثلة الأسلوب الخيري الذي يبرز مدى قدرة الأزهر على تجاوز الواقع تجاوزًا يذكِّر بأسباب افتخار أهله بما حققه في الماض، ويقرر عوامل اقتداره بما يبشر بأن تستمر مسيرته

الشريفة قوية مدوية مستمسكة بحبل الدين من أجل خير الإنسانية في كل حال قوله: (٢):

" إن في بقية السلف من أعلام الأزهر مَفْزعاً من هذه الحال الأليمة. فليعملوا لرد هذا المعهد الكريم إلى نظامه".

وإذا كان الأسلوب السابق قد جاء متمازجًا مع أسلوبين توكيديين آخرين: أحدهما عن طريق التوكيد بإن وثبوت الجملة الاسمية، والآخر عن طريق التقديم بالحصر في قوله: "إن في بقية السلف من أعلام الأزهر مفزعا...". من خلال تقديم خبر إن على اسمها " مفزعا" الذي جاء نكرة ذات دلالات جليلة وعميمة في معالجة هذه الحال الأليمة، وفي كل حال.

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

وإذا كان الأسلوب الخبري قد جاء متمازجًا على النحو الذي تقرر، فقد جاء متعانقًا كذلك مع أسلوب الأمر بإنشائيته الحاثة الدافعة بقوة وإخلاص لتحقيق ما تقرر بإيمان ويقين، على نحو ما يقول الزيات(١): " فليعملوا مخلصين....".

وقد يبدو الأسلوب الخبري ذا دور أثير بما يمنحه للموضوع من تقدير يشير إلى انفتاح ثقافة الكاتب على الآخر دون انغلاق على النفس كمن لايري إلا نفسه، ولا يسمع إلا صوته، ولذا فإنه – بهذا الانغلاق – يفقد الإلمام بكل ملاح الصورة، كما يفقد إدراك ما أدركه غيره، إذ يظل منغلقًا على ذاته، وقد عالج الزيات ذلك من خلال ما أمدَّ به مقاله بنص من قراءاته في إحدى المجلات الفرنسية، إذ يقول(٢):

" لقد قرأت بالأمس فصلًا عن الإسلام في مجلة شهرية فرنسية يقول كاتبه فيه: (لقد انحسر الإسلام عن بلاده أو كاد، فلم يبقَ مدويًا متوثبًا إلا في الزهر) فماذا عسى أن يقول هذا المأفون إذا قيل له غدًا: إن هذا الدوي قد سكن، وهذا التوثب قد قر؟".

على أن ما بدا من هيمنة كمية واضحة للأساليب الخبرية على مستوى هذا المقال لم يكن ليؤثر على وجود الأساليب الإنشائية وتأثيرها الثري بدلالاتها المتنوعة والمثيرة منذ بداية المقال وحتى نهايته، على نحو ما تجلى من أول جملة فيه "ويل للأزهر من أهله" حيث جاءت متشحة في لفظها بأسلوب الخبر، غير أنها في معناها جاءت محملة بدلالات الأسى والأسف لما حدث بصورة تنشئ في النفس ألوانًا من التعجب الذي يحمل أبعادًا تنبيهية وتحذيرية مدوية..

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

_ ومن أمثلة الأساليب الخبرية لفظًا الإنشائية معنى كذلك قوله عن غضب الشيخ من خروج بعض الطلاب في نقاشهم عن حدود اللياقة(١):

"... فيغضب الشيخ فلا يكون أنكى في عقابه من الاشارة إليه بالخروج من الدرس، أو الدعاء عليه بالقطيعة من الأزهر!".

إن التقرير الذي تثبته ألفاظ الأسلوب السابق لم يكن هو غاية مراد الكاتب مستعينًا في ذلك بأسلوب التفضيل " أنكى" وإنما المراد هو التهويل لبيان شدة غضب الشيخ، وأثر ذلك بإخراج المتسبِّب في الغضب من الدرس، والقطيعة عن الأزهر لدرجة تدعو إلى العجب من مستوى الممارسة لآداب الدراسة بين طلاب الأزهر وشيوخهم!

_ ومن أمثلة الأسلوب الإنشائي الصريح قول الزيات داعيًا إلى تأمل حال الأزهر سابقًا، وتدبُّر حاله لاحقًا من خلال أسلوب الأمر الذي أفضى به إلى التأسف والأسى والاستنكار عن طريق أسلوب الاستفهام(٢):

" تدبر ذلك في نفسك على إجماله وعمومه، ثم اقرنه إلى ما تسمع اليوم أو تقرأ من خير الأزهر وحال علمائه وأبنائه، فهل تجد المعهد هو المعهد والناس هم الناس؟"

لقد صارت الحال إلى درجة غير خافية، إذ تُسمَع من خلال ما يتردد على الألسن، أو يُقرَأ في الصحف..

_ وفي خاتمة المقال جاء الأسلوب الإنشائي من خلال الاستفهام معبرا عن تأسف الكاتب غاية التأسف إذا ما بلغ الأمر إلى أن يقال للأجنبي: إن توثُّب الأزهر ودَوِيُّه لم يعد كما كان في ذاكرته على نحو ما أورده الزيات إذ يقول(٣): " فماذا عسى أن يقول هذا المأفون إذا قيل له غدًا: إن هذا الدوي قد سكن، وهذا التوثب قد قر؟".

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

وعلى ما يحمله أسلوب الاستفهام السابق من تأسف وأسى، فقد احتفظ الزيات لمقاله في خاتمته بمقادير من الإثارة والحيوية التي يشيعها استخدام فعل القول " يقول كاتبه، ويقول هذا المأفون، وإذا ما قيل له...".

• **أسلوب القصر والتخصيص:**

من الأساليب ذات الطابع الخاص، والحضور البارز، والتأثير القوى أسلوب القصر بدلالاته التخصصية والحصرية قوية التأكيد، وقد جاء أسلوب القصر في مقال الزيات في طرق متنوعة، منها:

_ القصر عن طريق التقديم كما في مثل قوله[١]:

" كان للأزهر... جلالة"، " وكان لعلمائه مكانة..."، " كان لطلابه كلف به...".

والأسلوب في هذه الأمثلة يبرز ويؤكد ما للأزهر وعلمائه وطلابه من خصائص وتميُّز توكيدًا لا مزيد عليه ولا مزايدة.

_ القصر عن طريق النفي والاستثناء كما في مثل قوله عن طلاب الأزهر في حاد طلبهم العلم في الأزهر، ثم في حال انصرافهم من الأزهر إلى أقاليمهم[٢]:

" لا يبغون من ورائه غير فقه الدين".

" لا ينصرفون عن حلقات التعلم بالقاهرة، إلا إلى حلقات التعليم في الريف".

لقد جاء الأسلوب في المثالين السابقين يجلى ويؤكد مدى حرص طلاب الأزهر على فقه الدين والعلم تعلُّمًا وتعليمًا وتفانيهم في ذلك تفانيّا لا يكاد يكون له مثيل في طلب الفقه والعلم وتلقِّيه، ثم في تعليمه ونشره ذهابًا وإيابًا في كل حال..

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

المبحث الثالث: الحقيقة والمجاز والتصوير الأدبي:

ركن الزيات في مقاله إلى أسلوب الحقيقة في الأغلب الأعم؛ وذلك لارتباطه بحقائق واقعية، سواء ما كان منها متصلًا بالماضي الذي لا يمكن له أن يعمل على تزييفه، أو ما كان يتعلق بالحاضر والمستقبل اللذين لا يمكن إقامتهما على السلبيات والأوهام.

_ ومن أمثلة الأسلوب الحقيقي قوله:

" كان منيعاً بالدين فابتذلوه بالدنيا، وعزيزًا بالعلم...".

_ "وكان سُنة واضحة لِهَدْى الشريعة استقام الناس بها منذ ألف عام ..".

_ " كان للأزهر، على عهدنا القريب، جلالة تغشى العيون، وقداسة تملأ الصدور".

_ "وكان لعلمائه مكانة في القلوب، ومهابة في النفوس، وكان لطلابه كلف به لا يُتهم...".

_ "لا يبغون من ورائه غير فقه الدين وتحصيل المعرفة وتجديد حبل الدعوة".

_ "كانت صلة العلماء بالحكومة صلة دينية ... وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية...".

والأمثلة السابقة أقرت حقائق لا مراء فيها عن منعة الأزهر الشريف في الماضي بالدين، وعزته بالعلم، وأدائه رسالة الإسلام الوسطية منذ ألف عام خير أداء، ولذا تواصلت في النفوس قداسته وجلالته، وتطاولت في الأذهان منازل علمائه، وتمددت من خلال طلابه، حيث قامت علاقته بالحكومة على أسس دينية عليِّة، كما ارتبطت علاقته بالأمة بروابط روحية جليلة جلية.

_ ومن أمثلة الأسلوب الحقيقي كذلك في المقال قول الزيات عن بعض علماء الأزهر[١]:

" تقلب بعض زعمائه على فرش الديباج...، وتنبلوا بالمظاهر الفخمة، وسردوا أعداد الدنانير على المسابح العِطرة".

وقوله[٢]: "ثم شايعوا أهواء الناس، وصانعوا أهل النفوذ ...، من أجل ذلك فقدوا خطرهم في الخاصة، وأثرهم في العامة".

لقد صورت الأشلة السابقة، بل عبرت عن حقائق واقعية لا يستهان بها لدى بعض زعماء الأزهر، حيث ركن بعضهم إلى نعيم الدنيا، وفتنتهم المظاهر، وتعلقوا بالماديات، وما كان أبعدهم من قبل عن ذلك مشغولين بأمور الدين، مدركين حقيقة الدنيا والآخرة، مترفعين عن كل الأهواء التي تذهب بقيمة العلم والعلماء لدى كل الطوائف والأطياف!!

_ و من أمثلة الأسلوب الحقيقي في خاتمة المقال قول الزيات[٣]: " إن في بقية السلف من أعلام الأزهر مَفْزعاً من هذه الحال الأليمة".

وقوله[٤]: "وليس في مصر ولا في غير مصر ضمير نزه يرضيه أن تعبث الشهوات الرعن بهذا المعقل الديني الذي عصم القرآن ولغته وعلومه من طغيان الأحداث والفتن عشرة قرون".

لقد بدت الأمثلة السابقة تقرر حقائق مهمة يمكن من خلالها معالجة سلبيات الواقع والبناء عليها من أجل المستقبل، وذلك بالرجوع إلى:

_ أعلام الأزهر المتمكنين المخلصين.

_ الاستناد إلى دور الحكومة المسؤولة آنيًّا وتاريخيًّا.

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

_ الحضور التاريخي المعطاء للأزهر الشريف في ذاكرة أصحاب الحس الواعي والضمير النزيه الذين لا يمكن لهم – بما لديهم من إمكانات فعالة –أن يغيب دورهم عن تقدير الدور التاريخي للأزهر الشريف والعمل على مساندته وتمكينه كى يظل هو المعقل الديني الذي يحفظ القرآن ولغته وعلومه من طغيان الأحداث والفتن، ويعمل لخير الإنسانية دنيا ودينًا..

• **المجاز:**

إذا كانت الأساليب الحقيقية تكاد تمثل قوام مقال الرايات، فإن هذا لا يعني أنه قد خلا من المجاز، حيث حفلت به صور متعددة تعمل على خدمة الحقيقة من خلال ما تتمتع به الأساليب المجازية من طاقات ثرية وقوية، قادرة على إيصال ما قد لا تفي الحقيقة المجردة بإيصاله إلى المتلقى بصور مثيرة ومؤثرة على الوجه الذي يرجوه الكاتب.

• **المجاز المرسل:**

_ جاء المجاز مرسلًا علاقته الكلية في مثل قول الزيات[١]: " ويل للأزهر من أهله!".

وقوله[٢]: " كان العالِم إدا نزل مدينة أو قرية ...".

ففي المثال الأول أطلق الكاتب كلمة "أهله" وأراد البعض لاستحالة أن يجتمع أهل الأزهر جميعهم على ذلك، غير أن التعبير المجازي قد أبرز بقوة أثر البعض في أن يتحمل الكل تبعات ما يقوم يه بعضهم إذا تركوهم على هناتهم وسلبياتهم..

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

في حين أطلق في المثال الثاني كلمة "مدينة" أو "قرية" وأراد جزءًا من كليهما نزل فيه العالم وقام بدوره الدعوي والتعليمي، حيث يجلى التعبير المجازي دور العالم الأزهري في أنه لا يقف عند حدود المكان الذي يباشر فيه رسالته، حيث يتجاوزه ليشمل أهل المدينة والقرية من خلال أفرادهما في كل مكان منهما..

_ وقد جاء المجاز مرسلًا علاقته الجزئية في قول الزيات [١]: " يتخففون على يديه".

وقوله[٢]: "... موقفًا يُندِي الجبين"، وقوله[٣]: " وليس في مصر ولا في غير مصر ضمير نزيه يرضيه ...".

ففي المثال الأول أطلق الزيات كلمة "يديه" وأراد العالم الأزهري.

وسر التعبير بالمجاز هنا هو تجسيد دور العالم تجسيدًا ماديًّا ملموسًا ومحسوسًا بصورة إيجابية.

في حين أطلق "الجبين" في المثال الثاني، وأراد مجمل الجسد، حيث تجد الأثر السلبي يشمل الكيان كله كذلك، لكن الأثر إنما يتجلى أثره قويًّا بوضوح من خلال قمته التي يمثل الجبين أعلاها، وهو ما يكاد يتمثل كذلك في المثال الثالث من خلال قوله: "ضمير نزيه" حيث أراد كيان الإنسان كاملًا، لكنه عبر عنه من خلال أبرز ما يميز الإنسان، إذ يتحلى بكونه ذا ضمير يتصف بالنزاهة والإنصاف لذلك الكيان الأزهري الشريف..

_ وقد جاء المجاز مرسلًا علاقته المحلية أو الآلية في قول الزيات[٤]:

"يكفكفون سفه الجوارح...، ويشفون غل الجوانح"

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

_ وقوله[١]: " يتحلقون حول كرسي الشيخ".

_ وقوله[٢]: " رَد هذا المعهد إلى نظامه".

ففي المثال الأول أطلق الزيات "الجوارح" مضافة إلى السفه، والسفه إنما ينسب إلى العقل، ولكنه عدل عن ذلك فأطلق الجوارح التي هي محل لتنفيذ إرادة العقل وآلته.

كما أطلق "الجوانح" مضافة إلى الغل، والغل إنما يكون في القلوب التي محلها الصدور.

وقد جاء ذلك تجسيدًا وترجمةً أمينةً وجليلةً لما يقوم به علماء الأزهر نحو أمتهم.

وفي المثال الثاني أطلق الزيات كلمة "كرسي الشيخ" وأراد الشيخ الذي يحل على الكرسي.

وسر بلاغة المجاز هنا إبراز ما للشيخ من تجلة ومهابة لكرسيه، ومدى ما يتحلى به طلاب الأزهر الشريف من إجلال وتوقير لشيوخهم كما في المثال الثاني.

وفي المثال الثالث أطلق الزيات "المعهد" وأراد أهله ومنسوبيه علماء وطلابًا، حيث كان

وسيظل الأزهر المكان خير عنوان للمكانة من خلال علمائه وطلابه، إذ يسيرون سيرة سلفهم الصالح كي يسير مسيرهم خلفهم الطالع..

_ كما جاء المجاز مرسلًا علاقته الحالِّية في قول الزيات[٣]:

" فلا يكون أنكى في عقابه من الاشارة إليه بالخروج من الدرس...".

فالخروج إنما يكون من القاعة، أو محل الدرس..

---

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

وسر بلاغة المجاز هنا تكمن في إبراز أن المعوَّل عليه هو الدرس؛ لما يتحصل فيه من علم وأدب ومعرفة تؤهل الدارس لتَقلُّد سيماء شيوخه، وتحمُّل مسؤولية ورسالة ما قدموه إليه..

• **الاستعـــــارة:**

جاء المجاز في مقال الزيات استعارة متقيدة بعلاقة المشابهة سواء كانت الاستعارة تصريحية أو مكنية، في قول الزيات[١]: "كان منيعًا بالدين".

وقوله[٢]: "استقرت به وديعة السلف، واستعصمت فيه لغة القرآن، واستأمنت إليه آداب..".

وقوله[٣]: "تجديد حبل الدعوة".

وقوله[٤]: "يجلون صدأ القلوب بالذكر".

ففي المثال الأول صور الدين خير حمى ومنعة للأزهر من كل شيء يمكن أن يناله بشر، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية من خلال الاستعانة بلازم المشبه به وهو المنع من كل شر.

وفي المثال الثاني ثلاث استعارات: أولاهن تصريحية، حيث صور أمانة حفظ الدعوة وصيانتها على نهج الرعيل الأول بالوديعة.

وثانيتهن وثالثتهن مكنيتان صور فيهما لغة القرآن وآداب العرب يبحثان عن ملاذ ومأمن يجدان فيه السلامة والأمن والرعاية.

وفي المثال الثالث صور دعوة الإسلام بشيء أصيل ثابت يُستمسَك به في كل حال، وذلك

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه

(٤) السابق نفسه.

على سبيل الاستعارة المكنية من خلال الاستعانة بلازم من لوازم المشبه به متمثلًا في الحبل.

وفي المثال الرابع صور القلوب في حال تأثرها بشيوخ الأزهر مجلُوَّة بنور الفقه والذكر بالمعدن في حال جلائه مما ران عليه من صدأ.

وتتمثل بلاغة التعبير المجازي الاستعاري من خلال تجسيد دور الأزهر وإبراز التأثير الإيجابي لشيوخه وعلمائه وطلابه في صور مادية محسوسة وملموسة، ثرية ومثيرة..

• **الكنـــايـة:**

يعد الأسلوب الكنائي ذا خصوصية لغوية وبلاغية، وذلك لكونها – على رأي الجمهور– واسطة بين الحقيقة والمجاز، وقد كان لها حضور أثير في المقال بما عملت على بعثه من إثارة فكريه، وثراء لغوي، وإمتاع بلاغي، وإقناع منطقي، ولذا كان "وجودها أكثر تأكيدًا، وأعظم بلاغة في الدعوى من أن يجيء بها الأديب فيثبتها هكذا ساذجًا غافلًا"(١).

_ ومن أمثلة الكناية في مقال الزيات:

قوله(٢): "وقفوا لدى المفترق المبهم" كناية عن تعثر المسيرة لاشتباه السبل واختلاط الأمور.

وقوله(٣): "يدير ومن أعيتهم في الفضاء..." كناية عن وعدم تبين الوجهة.

وقوله(٤): "لا يرون أقدامهم على أثر..." كناية عن التيه وعدم تَبيُّن الطريق ومعالمه.

---

(١) د. بدوي طبانة: علم البيان، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٢م، ص٢٠٦.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

وقوله[١]: "تقلَّب بعض زعمائه على فرش الديباج" كناية عن الافتتان بمُتَع الدنيا.

وقوله[٢]: "يتسترون بمرقمات القطن..." كناية عن القناعة والرضا بما يكفي.

وقوله[٣]: "ثم شايعوا أهواء الناس، وصانعوا أهل النفوذ" كناية عن المطاوعة لكل اتجاه حتى ولو كان على حساب ثوابت الدين.

وقوله[٤]: "لم يبقَ مدويًا متوثبًا إلا في الأزهر" كناية عن قوة دور الأزهر واقتداره واستمراره في أداء رسالة الإسلام.

وسر جمال الكناية في الأمثلة السابقة يتمثل في إثارة الذهن، واستدعائه ليعمل فكره فيما يتلقاه بحيوية، ومنطق يجلى أبعاد الواقع، ويعمل على تَبيُّن الأسباب، والاستمداد من دواعي الاستقامة في تَحمُّل المسؤولية، والأخذ بعوامل النهوض، وتقدير المقاصد الشريفة، والغايات السامية الرفيعة..

- **التصوير الأدبي:**

رأينا كيف حمل إلينا الأسلوب المجازي مرسلًا كان أو واستعارة، وكذا الأسلوب الكنائي عددًا من الصور الأدبية المثيرة، على أن الحقيقة قد تقدم لنا من الصور ما لا يقل إثارة وتأثيرًا عن الصور المجازية.

_ ومن أمثلة الصور التشبيهية قول الزيات[٥]: " فشبهوا وجوهها بالأنظمة الفجة، ولبسوا صورها بالأعلام المستعارة".

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق نفسه.

تبدو بلاغة الصورة التشبيهية هنا أنها أبرزت أن التقليد الفج والمبالغة في ارتداء أقنعته الزائفة لا تتناسب مع منهج الأزهر ولا تعبر عن ثوابته القويمة، ووسطيته المعتدلة.

_ ومن أمثلة الصور التشبيهية البليغة قوله[١]: " فأرضه حرم....".

وسر جمال الصورة السابقة يتمثل في اعتمادها ركنين حقيقيين بإيجاز بليغ قد قدم

الصورة – على ما فيها من مبالغة جليلة – نقية بلا شوائب تَجلَّى من خلالها فن التشبيه على الحد الذي ذكر ابن الأثير "إذ يجمع صفات ثلاثة: هي المبالغة، والبيان، والإيجاز[٢]".

_ ومن أمثلة الصورة الأدبية من خلال التشبيه الضمني:

قوله[٣]: "كانت صلة العلماء بالحكومة دينية....".

وقوله[٤]: "ويشفون غل الجوانح بالمؤاخاة....".

لقد صور الزيات علماء الأزهر في صورتين جليلتين – وهم أهل لكل جلال –:

حيث صورهم في الأولى في صورة القضاة الذين يقضون بين الناس بالعدل.

في حين صورهم في الثانية بالأطباء الذين يعالجون المرضى من الأمراض، حتى ينعموا بالصحة تاجًا على رؤوسهم.

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

والصورتان على ما تتمتعان به من تَسامٍ وشفافية تبعثان على إعمال الذهن أيما إعمال حيال ما تتمتع به شخصية علماء الأزهر في العمل على استقامة حياة الناس في سلام وإيخاء وأمان.

_ ومن أمثلة الصورة الأدبية من خلال التشبيه التمثيلي للعالم الأزهري يوم نزوله مدينة أو قرية حيث يأخذ الناس حين ذلك حال من الشعور الصوفي يدفعهم إلى رؤية ذلك العالم قول الزيات[١]: " فيهرعون إليه كما يهرعون إلى زعيم الأمة أو إلى رئيس الحكومة....".

بدت الصورة السابقة بليغة غاية البلاغة لتألُّفها من هيئة منتزعة من أمور عديدة لفئات من الناس في حال إقبال وسرور وصفاء، إذ يحتفون وهم يستقبلون عالم الأزهر مثلما يهرع فئات من الناس لاستقبال زعيم الأمة أو رئيس الحكومة باهتمام واستبشار، على أن الكاتب أضفى على الصورة ألوانًا وأضواء تجلى أسارير العالم الأزهري بهالات اكتسبها من أنوار رسالة الإسلام ورسوله، كما جعل الصورة تفوح بأريج النبوة العطرة من خلال من خلال ما يتنسمونه في لقاء العالم الأزهري.

• ومن أمثلة الصورة الممتدة ما نجده من خلال صورة طلاب الأزهر تلك الصورة التي جاءت مفعمة بإجلالهم شيوخهم من خلال عدة صور متتابعة على النحو التالي:

_ صورتهم الدائرية: "إذ يتحلقون حول كرسي الشيخ" في حميمية وتواصل مقرّب ومحّبب.

_ وصورتهم الحثيثة: "إذ يتسابقون للظفر بالتحلق حول كرسي الشيخ "فيكون لهم في السبق إلى الأمام عراك دامٍ، وصخبٌ مُصم"[٢].

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

_ وصورتهم الجليلة الخاشعة حيال إقبال شيخهم وتحدثه "إذ ما أقبل خشعت الأصوات وسكنت الحركات وسكنت الحركات كأن شيئًا علّق الأنفاس فلا تنسم، وعّقد الشفاه فلا تنبس"(١).

_ وصورة البعض القليل منهم حائدًا عن حدود النقاش المقبول مما يفضى إلى القطيعة عن الأزهر، "والقطيعة عن الأزهر أقصى ما يتصوره الأزهري من شقاء الحياة"(٢).

وهي صورة تشي بصورة أخرى متمثلة في حال الانتساب إلى الأزهر والنهل من علومه ومعارفه، والسير على منهاجه، حيث تبدو مجللة متوجة بأرفع تيجان الشرف.

_ وصورتهم الإجلالية حال إنهاء شيخهم الدرس "فإذا أنقضى الدرس، وقال الشيخ: (والله أعلم) تضامَّت أطراف الحلقة عليه، وأنحى بالقبل على يديه وردفيه فما يشق طريقه بينهم إلا بعد لأى"(٣).

والصورة على إجمالها وامتدادها تبدو فريدة لا تكاد تجد لها نظيرًا في غير الأزهر الشريف، حيث تجسد مدى تجلة طلاب الأزهر لشيوخهم، وهي تجلة مستحقة لما يتمتع به شيوخ الأزهر وعلماؤه من تَمكُّن في الفقه وعلوم الدين واللغة والثقافة التي بها تستقيم أمور الدنيا، وتنعم الإنسانية بكل خير..

والصورة كذلك على إجمالها تبدو ثرية تدل على مدى ثراء قريحة الكاتب ومكنته في بناء صوره الأدبية..

_ ومن الصور ما يصنعه الزيات دون أن يتوقف عند مجرد التعبير أو التصوير لموقف ما، وإنما هو يصور الموقف أو الحال بالنظر إلى حال أخرى، وكأنه بهذا يريد أن يمنح الصورة درجات من الإقناع

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

والمنطقية لما تحمله الصورة من رسائل وأبعاد، على نحو ما صور به الأزهر في حاضره مقارنة بماضيه على نحو ما يقول الزيات [١]:

"تدبر ذلك... ثم أقرنه إلى ما تسمع اليوم أو تقرأ من خبر الأزهر... إن الأزهر البائد... كان أجدى على الدين، وأعود على الثقافة من هذا الخلق المسيخ الذي وقف بين الماضي والحاضر، وبين الدين والسياسة موقفًا يندى الجبين الصلب، ويوجع الفؤاد المصمت".

لقد بدت الصورة مجللة بالأسف، وتتضح بالألم، وذلك لما ألمَّ بصاحبها من قيود تضطره إلى مواءمات بين حدود الدين القويم وغيره مما يتم فيه تجاوز الحدود بصور لا تستقيم..

_ ومن الصور ما يرتدي من الألوان، ويتصف بأوصاف غير التي خلعها على مصادرها الأولى سابقًا، على نحو ما صور به العلماء من قبل في صور عليها من التجلة والترفع والوقار ما عليها، حيث عاد هنا ليصور بعض عناصر الصورة على النقيض من صورة أسلافهم.

يقول الزيات[٢]: "تقلب بعض زعمائه على فرش الديباج، وخبوا في أفواف الشاهي، وتأنقوا في ألوان الطعام ... وكأن أسلافهم – طيب الله ثراهم كما طيب ذكراهم – يتسترون بمرقعات القطن، ويتبلغون بقشور البطيخ ...".

إن التنوع في تقديم الصورة يدل على ثرائها – رغم ما طرأ من تغيرات سلبية على عناصرها – كما يدل على حيوية القريحة المصَّورة وصدقها، وعدم جمودها، فضلًا عن تحلِّيها بالمقارنة الممتدة المتلونة، والمتدثرة بدثار الماديات في جانب من الصورة لبعض زعماء الأزهر حديثًا في مقابل صورة

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

أسلافهم القانعين المتنعمين بنعيم القناعة والروحانيات، ونسيم المآذن الشاهقات الذاهبات بأذان الحق والخير والسمو الأكبر الذي يعلو ولا يُعلى عليه..

_ ومن الصور ما تشي مصادرها بسعة ثقافة الكاتب وانفتاحه على ثقافة الآخر دون انغلاقه على النفس كمن لا يرى إلا نفسه، ولا يسمع إلا صوته مما يؤدي بصاحبه إلى افتقاد الإلمام بكل ملامح الصورة، كما يؤدي إلى افتقاد إدراك ما أدركه غيره، إذا ظل على انغلاقه، وذلك على نحو ما يقول الزيات على لسان كاتب فرنسي:

"لقد انحسر الإسلام عن بلاده أو كاد، فلم يبق مدويًا متوثبًا إلا في الأزهر" ثم يقول الزيات: "فماذا عسى أن يقول..."[١].

لقد ذكرَّت الصورة بما كان فيه الإسلام من حال (مدٍّ) وازدهار، ثم صارت إلا حال (جَزْرٍ) وانحسار، اللهم إلا في الأزهر الشريف، حيث بقى مدويًا متوثبًا – وسيبقى دائمًا بفضل الله ثم بمكنة وأمانة علمائه – في (مد) وازدهار..

(١) السابق نفسه.

المبحث الرابع:

التكوين البديعي:

للأصباغ البديعية في مقال الزيات حضور أثير ذو تأثير بليغ في التعبير المقالي عن فكرة المقال الأساسية ثم من خلال تفرعها إلى أفكار فرعية من خلال أساليبه وأدواته الإيقاعية التي استعان بها الزيات بمقادير متوازنة قصدًا إلى تحقيق التوازن الموسيقي والتوافق النغمي على مستوى المفردات والجمل والعبارات بصور تجعل الآذان تُقبِل عليها، والنفوس تأنس إليها، والعواطف تتأثر بها؛ وذلك لما تَحلَّى به الزيات من ابتعاد عن التصنع قصدًا إلى عدم التكلف إيمانًا منه بأن " لكل عاطفة أو معنى نغمة خاصة في الموسيقى والغناء، وهي أليق به وأقدر على تمييزه؛ لأنها صوته الطبيعي وصورته الحسية الدقيقة"(١)

ومن أبرز الأصباغ البديعية التي تآزرت مع غيرها من الأساليب الفنية التي استعان بها الزيات في إنشاء مقاله على صورته الأدبية البديعة التي انتهى إليها:

١ـ السجع:

للسجع دور مهم في إضفاء أثر إيقاعي أثير في الإبداع النثري ومنه فن المقال؛ لما يتولد عنه من أثر يغذي رغبة المتلقي في عملية استكمال تلقي النص، ولا سيما إذا جاء عفوًا حسبما يقتضيه المقام في أي موقع من المقال، والزيات ليس بدعًا في الاستمداد من إمكانات السجع التي تعد "من مميزات البلاغة الفطرية، فهو في أكثر اللغات يجري باطراد في الحكم والأمثال"(٢)

(١) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٤٦م، ص ٣٢٢.

(٢) د. زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣٤م، ج١، ص٧٥ وما بعدها.

ولما كان السجع في الكلام يعد ميزة بلاغية فطرية فإن الأصل في السجع هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في كل حال، ولذا ينبغي في السجع حتى تميل النفس إليه "أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة، جادة، لا غثة، ولا باردة... وأن يكون اللفظ فيه تابعًا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعًا للفظ، وإلا كان كظاهر مُموَّه على باطن مُشوَّه"(١)

_ ومن مظاهر السجع في مقال الزيات: تَحلِّيه بأصول الصنعة الفنية من خلال إيثاره الجمل والعبارات القصيرة، حيث تتواتر فيها الأسجاع بصور تغلب عليها العفوية على نحو ما نجد في الفقرة الرابعة، إذ يقول(٢):

"وكان لعلمائه مكانة...؛ لأنهم دعاة الله..، وهداة المحجة...، وتتمثل في أفعالهم السنة، فمحبتهم عقيدة، وطاعتهم فريضة، وإشارتهم نافذة".

وقوله(٣): "كانت صلة العلماء بالحكومة صلة دينية، ...وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية".

وقوله(٤): "فيتوسمون في أساريره أنوار الرسالة، ويتنسمون من أعطافه أريج النبوة، ويتخففون على يديه من أوزار العيش وتبعات الجهالة".

وقوله(٥): "حتى اذا ما أقبل خشعت الأصوات وسكنت الحركات".

وقوله(٦): "تضامت أطراف الحلقة عليه، وأنحى الطلاب بالقبل على يديه وردنيه".

---

(١) د. عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤م، ٢١٦، ٢١٧.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق نفسه.

(٦) السابق نفسه.

وقوله[١]: "من أجل ذلك فقدوا خطرهم في الخاصة، وأثرهم في العامة".

وقوله[٢]: "فان شديداً على النفس أن يضطرب فيه الأمر حتى تطرد طلابه، وتغلق أبوابه".

وهكذا يمضي الزيات في فقرات مقاله من خلال تلك الأسجاع المتواترة دون إطالة قد تؤدي إلى أن يتلاشى الأثر الإيقاعي لقيمة الصبغ البديعي.

على أن المتلقي مع تلك الجمل القصيرة السريعة الإيقاع لا يعدم الجملة الطويلة التي تدل على طول نفس الكاتب وبراعته في تأليفها وإحكام نسجها بحذاقة لغوية وفنية كما في قوله[٣]:

"وكان سُنة واضحة لِهَدْى الشريعة استقام الناس بها منذ ألف عام على عمود واحد، فشبهوا وجوهها بالأنظمة الفجة، ولبسوا صورها بالأعلام المستعارة، ثم وقفوا لدى المفترق المبهم الذي أحدثوه، يديرون أعينهم في الفضاء، ويردونها من الأمام إلى الوراء، فلا يرون أقدامهم على أثر، ولا يجدون وجوههم على سبيل!".

ورغم اهتمام الزيات في بناء مقاله لغويًا من خلال اعتماده على التكوين البديعي الذي يتسنم السجع ذروته فإنه حرص على أن يكون بناؤه في أسمى معانيه سليمًا في تركيبه، متوازنًا في مختلف مستوياته، فلم يبالغ في استخدام السجع بِسَمْته اللفظي من خلال الشكل على حساب المعنى والموضوع.

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

ولإيمان الزيات بالأهمية البالغة لموضوع مقاله فإنه على مدى ثلاث فقرات من بداية المقال لم يكد يلجأ إلى السجع إلا مرة أو مرتين في قوله:

"فشبهوا وجوهها بالأنظمة الفجة، ولبسوا صورها بالأعلام المستعارة، ثم وقفوا لدى المفترق المبهم الذي أحدثوه يديرون أعينهم في الفضاء، ويردونها من الأمام إلى الوراء".

ولموضوعية الزيات وانسجامه مع نفسه في إنشاء مقاله وبناء لغته وأساليبه وعرض موضوعه بصورة متوازنة فإن المتلقي لا يكاد يشعر بشيء من الكلفة أو الهجنة في استخدامه السجع، حيث تمثل ذلك بصورة يغلب عليها الطابع العفوي الرفيع.

٢_ الجناس:

يُعَد الجناس من الأصباغ البديعية ذات الدور الأثير في العملية الإبداعية، وذلك لما يتمتع به من طواعية لغوية تمنح الأديب تيسيرًا وقدرة على إثارة المتلقي وجذبه " لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع من الاستغراب"(١).

كما أنه يعمل على الإسهام في تشكيل الإيقاع والانسجام الموسيقي من خلال تكوينه اللغوي المتآلف الذي ينبع من التوافق الصوتي بين الكلمات المتجانسة.

على أنه لا يحسن الجناس إلا إذا كان تكوينه اللغوي خدمة لتأدية المعنى الذي يقتضيه السياق " فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها، حتى لا يكون التكلف"(٢).

(١) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٩٩٩م، ص ٣٢٥.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

ورغم أن الزيات قد استخدم الجناس في مقاله عدة مرات فإنه لم يستخدمه تامًّا، حيث قصر استخدامه على كونه غير تام في صور ناقصة، أو اشتقاقية، أو عن طريق النسب، ويمكن أن يفسر ذلك بأنه كان يعمد إلى أن ينأى في إنشاء مقاله لجلال موضوعه وأهميته البالغة عن أن يكون همه في ذلك زينة لفظية تصرفه عن المعاني السامية، والمقاصد الشريفة التي يتغيَّاها في معالجة موضوع مقاله، ولعل في ذلك ما ينفي عنه ما قد يُتهَم به من أنه كان يستخدم بعض المحسنات لمجرد " تحقيق التناسق الصوتي كالسجع والحماس"(١).

_ ومن ألوان الجناس في مفتتح مقال الزيات عن الأزهر بين الماضي والحاضر قوله(٢):

"كان منيعاً بالدين فابتذلوه بالدنيا".

فقد تمثل الجناس بين كلمتي (الدين والدنيا) حيث تجانست الكلمتان في تأليف معظم

حروفهما وإن لم يتوافقا في ترتيبها كذلك، إذ تختلف هيئتاهما كما يختلف معناهما، على أن الإيقاع الذي يتألف من اجتماعهما يبرز مدى ما بينهما من علاقة تلازمية تكاملية؛ فالدين لازم للدنيا لضبط إيقاع حركتها في حاضرها ومستقبلها كما كان كذلك في ماضيها، والدنيا لا تتكامل في مظاهرها ومعطياتها إلا بعطاءات الدين القويم، وإنما كانت الإشكالية في عدم تحقيق التوازن في العلاقة بين الدنيا والدين.

(١) د. أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، مصر، ط ٦، ١٩٩٤م، ص ٣٩١.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

_ ومن ألوان الجناس غير التام كذلك في مفتتح المقال قول الزيات[١]:

"ثم وقفوا لدى المفترق المبهم.. يديرون أعينهم في الفضاء، ويردونها من الأمام إلى الوراء".

فقد تمثل الجناس بين كلمتي (يديرون ويردون) حيث تجانست الكلمتان كذلك في تأليف معظم حروفهما وعدم توافقهما في ترتيبها، وإن لم تختلف هيئتاهما رغم اختلاف معناهما، على أن الإيقاع الذي يتألف من اجتماعهما لا يبدو عليه شيء من التصنع أو التكلف، حيث تعانق دوره الإيقاعي الممتع مع الدور المعنوي المقنع لبنية الكلمتين المتجانستين، فأدى دوره أحسن أداء بحسن موقعه الذي جلَّ فيه في مفتتح المقال الذي يتطلب مقادير من الإثارة وحسن الإيقاع.

_ ومثال اللون السابق كذلك قول الزيات عن صورة العالم الأزهري في عيون الناس ومنزلته في نفوسهم[٢]: "فيتوسمون في أساريره نور الرسالة، ويتنسمون من أعطافه أريج النبوة"

والجناس في المثال السابق تبدو فيه الكلمتان المتجانستان متآخيتين متآلفتين بصورة موسيقية مطبوعة تمنح النص المقالي قدرًا من التماسك الفني النابع من التناسب المعنوي لكل منهما في موقعه بصورة مستأنَسة مستحسنة.

_ ومثال ذلك اللون من الجناس كذلك قول الزيات واصفًا أدب طلاب الأزهر وخشوعهم حال إقبال شيخهم إليهم[٣]: "حتى إذا ما أقبل خشعت الأصوات وسكنت الحركات كأن شيئاً علق الأنفاس فلا تنسم، وعقد الشفاه فلا تنبس!". حيث تجانست كلمتا (تنسم وتنبس) ورغم اختلاف

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

معنييهما الدالين على ثراء المعجم اللغوي لدى الزيات فإنهما قد عملتا ببنيتيهما المتآلفتين إيقاعيًّا المتباينتين دلاليًّا على التعبير عن مراد الكاتب بدقة وانسجام بعيد عن أي كلفة.

_ ومن ألوان الجناس في المقال ما جاء اشتقاقيًّا "وهو ما توافق ركناه في الحروف وترتيبها"[١] بصورة اشتقاقية لا تتماثل فيها الكلمتان المتجانستان تمام التماثل، حيث تختلف هيئتاهما كما يختلف المعنى المراد لكل منهما، وذلك كما في قوله عن طلاب الأزهر [٢]: "لا ينصرفون عن حلقات التعلم بالقاهرة، إلا إلى حلقات التعليم في الريف".

فرغم أن الجذر اللغوي للكلمتين المتجانستين (التعلم والتعليم) واحد وهو (العلم) فإن لكل بنية منهما دلالته الخاصة، حيث تدل أولاهما على مرحلة مهمة تتمثل في تلقِّي العلم وتحصيله، في حين تدل ثانيتهما على مرحلة أخرى مهمة تتمثل في أداء العلم ونشره، وقد قام طلاب الأزهر الشريف بكلا المرحلتين خير قيام، فهم في رباط وعكوف دائم على حمل رسالة العلم وتَجشُّم تبعاتها في كل حال بلا تكلف.

_ ومن ألوان الجناس ما تم عن طريق إلحاق ياء النسب بأحد ركنيه على نحو ما يتجلى في قول الزيات[٣]: "والقطيعة عن الأزهر كانت أقصى ما يتصوره الأزهري من شقاء الحياة!".

فالناس في المثال السابق بين كلمتي (الأزهر والأزهري) وصحيح أن جذرهما واحد وقد تماثلت حروفهما وتوافقتا في الترتيب، ولم يختلف اللهم إلا في هيئتيهما والتحاق ياء النسب بالثاني منهما، والتجانس بهذه الصورة له

(١) جواهر البلاغة، مرجع سابق ص ٣٢٦.
(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.
(٣) السابق نفسه.

أكثر من دلالة تتجاوز حدود زينة الشكل، وجمال والإيقاع إلى إبراز ما يأتي:

_ أن الأول (الأزهر الشريف) هو الأصل الكريم الشريف الذي لا حياة كريمة شريفة لفرعه (الأزهري) بدون أصله.

_ أن ارتباط الثاني المنسوب (الأزهري) إلى أصل نسبه (الأزهر الشريف) ارتباط متكامل في كل شيء على مستوى الشكل والمضمون في كل ما يخص أمور الدنيا والدين.

_ أن قطيعة المنسوب (الأزهري) عن أصل نسبه وشرفه وكرمه (الأزهر الشريف) تمثل المقطوع شقاء ليس هناك أشد منه في الحياة.

_ ومن أمثلة الجناس في خاتمة المقال ما جاء في صورة اشتقاقية ذات عاطفة صادقة في غيرتها وعفويتها ما تمثل في مجانسته بين كلمتي (مدويًّا والدويُّ) إبان حديث الزيات على لسان الكاتب الفرنسي بانحسار الإسلام وأنه "لم يبق مدويًّا متوثبًا إلا في الأزهر" ثم يتساءل متأسفًا قائلًا[1]: "فماذا عسى أن يقول.. إذا قيل له غداً: إن هذا الدوي قد سكن..".

ورغم أن بنيتي ركني الجناس السابق جذرهما الأصيل واحد فإن الزيادة في في مبنى الركن الأول (مدويًّا) تدل على الزيادة في المعنى، فهي تدل على الصوت القوي المجلجل ومصدره وباعثه وحامل مقوماته القوية القويمة، في حين يدل الركن الثاني للجناس (الدويُّ) على الصوت القوي المنبعث ذي الأثر المجلجل الذي لم يسكن بعدُ ولن يستكين بقوة من بعثه وهو الله.

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

والجناس بهذه الصورة التي حلَّ بها في خاتمة المقال يترك في نفس المتلقي أقوى الأثر؛ إذ يودِّع عملية التلقِّي خير وداع، وقد وُفِّق الزيات في توظيفه لخدمة المعنى وتأدية الغرض في أبهى ما يكون الإبداع.

٣_ الطباق والمقابلة:

من الأصباغ البديعية ذات الحضور المناسب والبارز في مقال الزيات "الطباق" و"المقابلة" وذلك لما لهما من مواقع ذات دلالات معنوية دقيقة، وإيقاعات ذات توقيعات موسيقية ثرية ومثيرة، حيث إنه بضدها تتميز الأشياء.

على أن أسلوب المطابقة لا يتولد عن إيقاعه توقيعات موسيقية إلا إذا تم إنشاؤه بصورة عفوية توافق ما يقتضيه كل حال، وما يناسب كل مآل، وقد تحلى مقال الزيات بألوان من المطابقة أضفت على جلال الموضوع أبعادًا ذات دلالات جمالية شكلًا وموضوعًا، وهو ما تجلى منذ عنوان المقال: "الأزهر بين الماضي والحاضر"

حيث جاء العنوان معتمدًا على أسلوب الطباق الذي لم يأت مشتملًا على مجرد لفظين متضادين يعمل الطباق على إيضاح المعنى وتأكيده من خلال الجمع بين أمرين لكل منهما زمانه المختلف وأهله بما يحسب لهم من إنجازات، وما يحسب عليهم من إخفاقات ، بل يتجاوز ذلك ليزيد المعنى ثراء وإثارة من خلال ما يلزم لذلك من خلال التواصل التاريخي بين الأزهر الشريف في ماضيها واتصال حاضره به وما يستتبع ذلك من تحليل لكل حال، وعقد المقارنات والموازنات المختلفة التي تقدِّر الماضي بما أتيح له من أدوار جليلة حفظه له التاريخ، وتنظر ما يقوم به من أدوار في حاضره بمنظار الأمل، وتزن أعماله بميزان لا يقبل الخلل.

_ ومن أساليب المقابلة ما جاء متحليًّا بمقادير من المرونة، حيث لا ينهض الأسلوب على لفظين متضادين مع لفظين آخرين أو أكثر بصورة

مباشرة، بل قد يكون بعضهما متضادين، وبعضهما غير متضادين لكنهما مختلفان، على نحو ما يتمثل في قوله[١]:

"كان منيعاً بالدين فابتذلوه بالدنيا، وعزيزاً بالعلم فأذلوه بالمال، ومستقلاً في حمى الله فأخضعوه لهوى الحكم...!".

ومثل هذا النوع من المقابلة يبدو أكثر عفوية وتسامحًا في بناء الأسلوب التقابلي، كما يبدو أكثر رحابة في التعبير عن المعنى.

_ ومن أساليب المقابلة ما جاء طرفاه غير متضادين لفظيًّا رغم أنهما ينطويان معنويًّا على تناقض صارخ وصادم، كما في قوله[٢]:

"وكان سُنة واضحة لِهَدْى الشريعة استقام الناس بها منذ ألف عام على عمود واحد، فشبهوا وجوهها بالأنظمة الفجة، ولبسوا صورها بالأعلام المستعارة...".

ومثل هذا النوع من المقابلة يبدو يتحلى كذلك بتلك العفوية وذلك التسامح اللغوي الذي يمنح الكاتب رحابة في استثمار طاقاته الفكرية في التعبير عن المعنى دون إرهاق لذهنه وقريحته بمعاناة الصنعة البديعية، وذلك خلاف ما وُصِف به أسلوبه بأنه "يعتمد على الصنعة المحكمة، والتكلفة المرهق، وتوفير القيم اللفظية، والتوازن الموسيقي، ولو أدى ذلك هدى المعنى، والافتئات على الفكرة"[٣].

وإن كان هذا لا يمنعه من إنشاء أسلوب المطابقة بصورة مباشرة بين لفظي "الأمام والوراء" في توابع الجملة التالية للجملة السابقة من المقال، كما في قوله[٤]:

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) د. محمد نجم: فن المقالة، دار الشروق، عمان ١٩٩٦م، ص ٦٩.

(٤) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

"ثم وقفوا لدى المفترق المبهم الذي أحدثوه يديرون أعينهم في الفضاء، ويردونها من الأمام إلى الوراء...".

فإنشاء الطباق هنا يبدو عفويًّا تمام العفوية، وهو يبرز مدى التناقض الذي ألمَّ بتلك الفترة، وشاسع البون التقدم الحقيقي، والتردد والتحير، وعدم تبيُّن الطريق المستقيم، وهي أمور تؤدي إلى التخبط، والتوقف، بل التراجع.

_ ومن ألوان الطباق ما صاغه الزيات بطرافة فنية أخاذة ما يتمثل في ذلك اللون الذي يذكر فيه أمرًا ثم هو يأتي بفعل يناقضه، غير أنه يقوم بنفي هذا الفعل النقيض ليحقق بذلك نوعًا من الترادف المعنوي الذي يثبت ويؤكد شأن الطرف الأول أيما إثبات وتأكيد كما في قوله[١]:

"فأرضه حَرم لا يُنتهك، وأهله حمى لا يستباح، وأمره قَدرٌ لا يُرد...".

_ ومن ألوان المطابقة التي صاغها الزيات كذلك بحذاقة بديعية مركبة ما يتمثل من خلال أسلوب الطباق الذي جاء مشتملًا بين ثناياه على مقابلة عفوية اقتضتها طبيعة طلاب الأزهر الذين يقضون أوقاتهم ما بين التعلم في رحاب الأزهر الشريف في القاهرة وبين قيامهم بالتعليم في شتى ربوع الريف، فهم مرابطون عاكفون على العلم في كل حال تعلُّمًا وتعليمًا، وذلك كما في قول الزيات[٢]:

"فهم عاكفون على معاناة الدرس...، لا ينصرفون عن حلقات التعلم بالقاهرة، إلا إلى حلقات التعليم في الريف".

_ ومن ألوان الطباق ما صاغه الزيات بطرافة آسرة من خلال ما مثَّله من تضاد بين الفعل ومفعوله، حيث يبدد الفعل أثر المفعول على النحو الذي صوره عن حال علماء الأزهر الشريف وصلتهم بالأمة، حيث يقول [٣]:

---

(١) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

"وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية، يجلون صدأ القلوب بالذكر، ويكفكفون سفه الجوارح بالموعظة، ويشفون على الجوانح بالمؤاخاة...".

ومن ذلك أيضًا ما يتمثل من طباق كذلك بين الفعل وفاعله بصورة تدل على مدى تطويع الفعل في حركته المضادة لفاعله تلك هي الصورة التي يتحلى فيها طلاب الأزهر بأدبهم الرفيع حيال شيوخهم في تلقيهم علوم السنة المطهرة والقرآن الكريم الذي استقى الزيات من

أدبه الرفيع عن طريق الاقتباس في إنشاء مثل هذا الأسلوب الطباقي اللطيف، إذ يقول(١):

"كانوا يتحلقون حول كرسي الشيخ...حتى اذا ما أقبل خشعت الأصوات، وسكنت الحركات".

_ ومن المقابلات ما يتسم بسمات شمولية دون أن تعتمد على مقابلة أمرين أو ثلاثة أو أربعة أمور بغيرها، حيث تتجاوز المقابلة حدود ذلك إلى مقابلة حاضر الأزهر من خلال ما يُقرَأ أو يُسمَع من خبره آنذاك بماضيه على إجماله وعمومه، حيث تباينت حال علمائه وطلابه قديمًا، وحال علمائه وطلابه في حاضره آنذاك على حد قوله(٢):

" تدبر ذلك في نفسك على إجماله وعمومه، ثم اقرنه إلى ما تسمع اليوم أو تقرأ من خير الأزهر وحال علمائه وأبنائه، فهل تجد المعهد هو المعهد، والناس هم الناس؟".

ثم قابل الزيات بين حال الأزهر قديمًا على فوضاه المنظمة، وحاله التي بدأ فيها حائرًا متوقفًا بين الماضي والحاضر، والسياسة والدين موقفًا يوجع الفؤاد على حد قوله(٣):

---

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

" إن الأزهر البائد على فوضاه المنظمة كل أجدى على الدين وأعْوَد على الثقافة من هذا الخَلْق المسيخ الذي وقف بين الماضي والحاضر، وبين الدين والسياسة، موقفاً يُندى الجبين الصُّلب، ويوجع الفؤاد المُصْمت!

ثم قابل الزيات بين حال بعض زعماء الأزهر الذين تعلقوا بالمغريات المادية والدنيوية، وحال أسلافهم وقناعاتهم الروحانية التي أغنتهم بأقل القليل من متاع الدنيا على حد قوله(١): "تقلب بعض زعمائه على فرش الديباج، وخبوا في أفواف الشاهي، وتأنقوا في ألوان الطعام، وتنبلوا بالمظاهر الفخمة، وسردوا أعداد الدنانير على المسابح العِطرة.

وكان أسلافهم طيب الله ثراهم كما طيب ذِكراهم يتسترون بمرقعات القطن، ويتبلغون بقشور البطيخ، ويستروحون النسيم على شرفات المآذن".

ثم ذكر تَوَّج تلك المقابلة على عموميتها ببيان نتيجة حال بعض زعمائه الذين تعلقوا بالمغريات وشايعوا أهواء الناس، وصانعوا أهل النفوذ من خلال أسلوب للطباق جاء ذا نتيجة عامة وقاسية كما في قوله(٢):

"من أجل ذلك فقدوا خطرهم في الخاصة، وأثرهم في العامة...".

على أن النتيجة القاسية التي انتهى إليها الزيات في الأسلوب السابق للطباق لم تكن هي نهاية المطاف، حيث أتبعه بأسلوب آخر الطباق الذي جاء يقرر في عفوية لا تعتمد على تضاد لفظي مباشر بين طرفيه في قوله(٣):

"إن في بقية السلف من أعلام الأزهر مَفْزعاً من هذه الحال ".

ف"الحال الأليمة" لا تتضاد بصورة مباشرة مع "مفزعا" ولكن لما كانت تلك "الحال الأليمة" تدل على الهنات والسلبيات والوقوع في الأخطاء، وكانت

(١) السابق نفسه.

(٢) مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

(٣) السابق نفسه.

"مفزعا" تدل على النجدة والقدرة على الخلاص من كل أسباب الألم فإن أسلوب الطباق هنا جاء يقرر يقيناً ويحمل أملًا جليلًا لا ريب فيه ولا مواربة أن الأزهر الشريف قادر على أن يتجاوز كل العوائق والهنات في واقعه وكل ما هو آت..

الخـــــاتمـة

الحمد لله في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين معلم الناس الخير سيدنا محمد ﷺ، وآله، وجميع من تبعهم باجتهاد وإحسان..

وبعـــد

فإن هذه الدراسة ـ على ما بُذل فيها من جهد ـ قد شفَّت عن عدد من النتائج من أبرزها:

١_ تنوعت أدوار الأزهر الشريف التاريخية الجليلة على مر العصور منذ بداية نشأته، حيث شرعت دروس العلم وحلقاته تتسع في رحابه وأروقته بصورة جعلته يضحى معهدًا علميًّا منظمًا، بل جامعةً علميةً ذات حركة تعليميةٍ ثريةٍ.

ورغم ما ناله في خلافة العثمانيين من عدم اعتناء إلا أنه نهض بأدوارٍ جليلة، كان من أجلِّها دوره القيادي والريادي في مواجهة الحملات الاستعمارية المعتدية، وقد نال علماءه في سبيل ذلك ما نالهم من تنكيل، واستشهاد في سبيل الدفاع عن وطنهم وأمتهم ودينهم.

وقد كان للأزهر الشريف دوره الجليل كذلك في بناء نهضة مصر الحديثة، حيث كان معظم المبعوثين إلى أوربا من طلاب الأزهر ورجاله الذين أزكوا حركتها دراسةً وترجمةً، وتأليفًا وتدريسًا في الأزهر، وغيره من المدارس والجامعات.

وفي سبيل الحفاظ على سلامة البلاد وهويتها في مواجهة الأطماع الأجنبية، والغزو الفكري التغريبي قام الأزهر الشريف بدور حكيم في أحداث العقد الثاني من القرن الحالي إبان أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م، و٣٠ يونيو ٢٠١٣م، وقد تمثل ذلك جليًّا في "وثيقة الأزهر بشأن مستقبل مصر" التي تؤكد ضرورة الالتزام بالحريات الأساسية، واحترام حقوق الإنسان.

٢_ للصحافة دور كبير في تطور فن المقال ونضوجه، وبلوغه درجات عالية في جدة موضوعاته، وتنوعها وثرائها، وجودة بنائها الفني، وطواعية لغتها.

٣_ فكرة مقال الزيات عن الأزهر بين الماضي والحاضر قامت على رؤية نقدية مزدوجة جمع فيها الزيات بين نقد الذات والآخر، وذلك بالنظر إلى نشأته الأزهرية من جانب، ثم لتحوله بعد ذلك عن الأزهر من جانب آخر.

والزيات في مقاله لم يكن ليُعوِّل على أمجاد الماضي الذي ذهب وبقيت آثاره القويمة خالدة وذات تأثير فحسب، بل هو يعول كذلك على الحاضر الذي يمكن معالجة هناته حتى تستمر في قوة ورفعة مسيرة كيانه كي لا يبدو جديده أَخلَقَ في نسيجه من قديمه.

٤_ لم تكن رسالة الافتتاح المجلجلة الصادمة سوى أجراس يقظة؛ ولذا لم يلبث الزيات – بسعة أفقه وشمولية رؤيته – أن قام بإرسال رسالة تطمين لأهل الأزهر الشريف خاصة، والمجتمع الذي يثق بهم عامة؛ حيث خص علماءه برسالة تذكير بما لهم من جلالة وقداسة، كما خص طلابه الذين يمثلون عنصر امتداد المسيرة برسالة تقدير مؤمنًا بإمكاناتهم واهتماماتهم، واثقًا بقدراتهم على حمل أمانة الدعوة، وتجديد حبلها المتين.

٥_ تدثرت معالجة الزيات في مقاله عن الأزهر بقدر هائل من المبالغة في تحميل الأزهريين مسؤولية واقع ليس من صُنْعهم وحدهم، إذ إن هذا الواقع المختلط هو من صَنَع مؤسسات وطوائف وظروف عديدة لها ما لها، وعليها ما عليها تجاه الأزهر الشريف وما أَلَمَّ به.

ورغم ما يتمثل من مبالغة فإن الزيات بدا مثل الطبيب الحاذق الذي يأخذ بعديد من الوسائل التشخيصية والتحليلية التي تصور الواقع بدقة تكاد تَعُد السلبيات عدًّا، لتُوَصِّف العلاج الناجع بدقة، وتحدد المقادير اللازمة

بجدة، على أن حُسْن النية تبدو جلية؛ إذ إن الزيات لم يكن ليذكر هناة – في الغالب – إلا أردف بما يقابلها ما وسعه إلى ذلك النزوع سبيلا..

على أنه مع التسليم بواقعية ما ضربه الزيات من أمثلة للهنات، ونُبْل ما يقصد إليه من غاية، فإن ذلك جاء متدثرًا بقدر من المبالغة في عرض سلبيات الحاضر دون أن يعرض إيجابيات تذكر من جانب، كما غاب عن إدراك الزيات أن الأزهر الشريف له رؤاه وإمكاناته التي تحلَّى – واقعيًّا – بتطورها وتغيرها تعبيرًا عما يناسبه ويناسب المجتمع والزمان والمكان.

٦_ تخلى الزيات في مقدمة مقاله عن إطناب في غير محله ومجاله، أو فضول يصرف المتلقي عن أهمية الموضوع وجلاله؛ فمهما يكن لمقدمة المقال من أهمية، فإنها في هذا المقال لم تستغرق سوى جملة واحدة، ذلك أن أهميتها ليست أهم من الموضوع ذاته.

٧_ جاءت خاتمة المقال تحمل تطمينًا وتأكيدًا بأن الأزهر لا يزال يذخر بالشيوخ والعلماء الأعلام الذين يُفزَع إليهم في كل ملمة، كما أن الخاتمة عبرت عن مدى إخلاص الزيات لهذا الكيان العظيم، ورغبته الصادقة في الحفاظ عليه قوى الأركان، شامخًا على مر الزمان، منارة لكل الناس، ليس للأزهرين فحسب، بل هو خير للأزهريين ولكل المصريين، ولغيرهم...

٨_ تمتع مقال الزيات بصفة عامة بوحدة موضوعية حافظ عليها من أول جملة في مفتتحه إلى آخر جملة في خاتمته متسلحًا في ذلك بشخصيته ذات الميراث الأدبي والثقافي الثري الجامع بين أصالة التراث وحداثة الثقافة الوافدة مما منحه ألوانًا من المنطق والفكر المنظم.

٩_ بدت ألفاظ المقال بصفة عامة واضحة منتخبة انتخابًا ينم عن فصاحة وحصافة لغوية، وهي على ما تتسم به من جزالة وقوة، فإنها تتمتع كذلك بالوضوح والجلاء والطواعية في الأداء بما يتناسب مع طبيعة الموضوع، وما تقتضيها فكرته الأساسية وأفكاره الفرعية.

١٠_ للأسلوب الخيري هيمنة قد تبدو مناسبة لما تقتضيه طبيعة المقال وما يرنو إليه الكاتب، ويريد أن يقرره في وعي المتلقي بوضوح على مستوى الماضي المحقَّق، والواقع الموثَّق من أجل المستقبل الذي يؤمن بأن تظل رايات الأزهر فيه شاهقة تضئ في كل جوانبه، وتخفق فوق قممه وأركانه..

على أن هيمنة الأساليب الخبرية على مستوى هذا المقال لم تكن لتؤثر على وجود الأساليب الإنشائية وتأثيرها الثري بدلالاتها المتنوعة والمثيرة منذ بداية المقال وحتى نهايته.

١١_ حفل المقال بصور مجازية متنوعة تعمل على خدمة الحقيقة من خلال ما تتمتع به تلك الأساليب من طاقات ثرية وقوية، قادرة على إيصال ما قد لا تفي الحقيقة المجردة بإيصاله إلى المتلقي بصور مثيرة ومؤثرة.

١٢_ للأسلوب الكنائي حضور أثير عمل على إيجاد نوع من الإثارة الفكرية، والثراء اللغوي، والإمتاع البلاغي، والإقناع المنطقي.

١٣_ تنوعت الصورة في المقال: ما بين جزئية مباشرة، أو ضمنية بليغة، أو تمثيلية مركبة بديعة، أو ممتدة ذات أبعاد وإيحاءات ثرية مثيرة، تدل على حيوية القريحة المصوِّرة وصدقها، وعدم جمودها، حيث تشي بعض مصادرها بسعة ثقافة الكاتب وانفتاحه على ثقافة الآخر.

١٤_ للأصباغ البديعية حضور أثير ذو تأثير بليغ في التعبير المقالي من خلال أساليبه التي استعان بها الزيات بمقادير متوازنة قصدًا إلى تحقيق التوازن الإيقاعي على مستوى المفردات والجمل والعبارات بصور تجعل الآذان تُقبِل عليها، والنفوس تأنس إليها، والعواطف تتأثر بها؛ وذلك لما تَحلَّى به الزيات من ابتعاد عن التصنع قصدًا إلى عدم التكلف.

ورغم اهتمام الزيات في بناء مقاله بالتكوين البديعي الذي يتسنم السجع ذروته فقد حرص على أن يكون بناؤه في أسمى معانيه سليمًا في تركيبه، متوازنًا في مختلف مستوياته، فلم يبالغ في استخدام السجع بِسَمْته وزينته اللفظية من خلال الشكل على حساب المعاني السامية، والمقاصد الشريفة التي يتغيَّاها في معالجة موضوع مقاله.

ومن الأصباغ البديعية ذات الحضور المناسب والبارز في مقال الزيات "الطباق" و"المقابلة" وقد تحلت مطابقات الزيات في مقاله بمقادير من العفوية والتسامح اللغوي الذي يمنح الكاتب رحابة في استثمار طاقاته الفكرية في التعبير عن المعنى دون إرهاق لذهنه وقريحته بمعاناة الصنعة البديعية.

ومن المقابلات ما صاغه الزيات بحذاقة بديعية مركبة تتسم بسمات شمولية دون أن تعتمد على مقابلة أمرين أو ثلاثة أو أربعة أمور بغيرها، حيث تجاوز حدود ذلك بصورة أضفت على جلال الموضوع أبعادًا ذات دلالات جمالية شكلًا وموضوعًا.

والحمد لله في الأولى والآخرة..

المصـــادر والمراجـع

أولًا: المصـــادر:

ـ أحمد حسن الزيات: وحي الرسالة، ج ١، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٣م.

ـ مجلة الرسالة: العدد ٨٦، ٢٥ فبراير ١٩٣٥م.

– مجلة الرسالة، العدد ٩٦٢، ١٠ ديسمبر ١٩٥١م.

ـ ابن منظور: لسان العرب، ط دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.

ـ المعجم الوسيط: إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٨م.

ـ ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة، ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.

ـ ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تقديم وشرح: د. صلاح الدين الهواري، وا.هدى عودة، ج١، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٦هـ.

ـ أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧١م.

ثانيًا: المراجـــع:

ـ إبراهيم عبد العزيز: رحلة في عقول مصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

ـ أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية، مكتبة النهضة المصرية، ط ٨، ١٩٩١م.

ـ أحمد الشايب: الأسلو

ـ أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣، القاهرة ١٩٤٦م.

ـ أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، مصر، ط ٦، ١٩٩٤م.

ـ د. بدوي طبانة: علم البيان، دراسة تحليلية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م.
ـ د. زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ج١، ط٢، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣٤م.
ـ السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٩٩٩م.
ـ د. شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر ١٩٣٣م.
ـ د. عبد العزيز الدسوقي: تطور النقد العربي الحديث في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
ـ د. عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.
ـ د. عبد اللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية في مصر ج١.
– أبو عبيد البكر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق د. إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
ـ د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. علي صبح: الأزهر في ألف عام، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٣، ج١.
ـ د. محمد مندور الأدب وفنونه، دار نهضة مصر ٢٠٠٦م.
ـ محمد مهدي علام: المجمعيون في خمسين عامًا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ١٤٠٦ هـ= ١٩٨٦م.
ـ د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، دار الشروق، عمان ١٩٩٦م.
ـ د. نعمات أحمد فؤاد: قمم أدبية، دار عالم الكتب، القاهرة– ١٩٨٤م.
ـ د. نعمة رحيم العزاوي: أحمد حسن الزيات كاتبًا وناقدًا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثالثًا: الدوريات والصحف:

ـ د. محمد صلاح البدري: أزمة بورما والأزهر الذي نعرفه!، صحيفة الوطن، عدد ١٣ سبتمبر ٢٠١٧م.

رابعًا: المواقع الإلكترونية:

ـ د. أحمد عبد الظاهر: دور الأزهر في مصر والعالم ١٦سبتمبر ٢٠٧١م، البوابة نيوز. https://www.albawabhnews.com/2714520

– أحمد حسن الزيات، ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/

– عبد الكريم رافق: معارضة علماء الأزهر للقوانين العثمانية وأهميتها في تاريخ مصر إبان العصر العثماني، ترجمة: أحمد محمود إبراهيم، ١٦ فبراير ٢٠١٧م، موقع نماء https://nama-center.com/Articles/Details/40772